مشروع وثيقة حيفا كبرنامج تربويّ

كَرّاسة أنشطة ومعلومات

مدى الكرمل

المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة- حيفا

مشروع وثيقة حيفا كبرنامج تربويّ
كَرّاسة أنشطة ومعلومات

مشروع وثيقة حيفا كبرنامج تربويّ
كرّاسة أنشطة ومعلومات

إعداد وتحرير | **جنان عبده**

مراجعة أكاديميّة للمصطلحات | **د. جوني منصور**

ساهم في جمع الموادّ | **رنين جريس؛ عرين هوّاري**

ساهم في مراجعة المصطلحات | **إيناس عودة-حاج؛ إمطانس شحادة**

ISBN 978-965-7308-19-6

مدى الكرمل
المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
شارع الزيتون (اللنبي) 51
ص.ب 9132، حيفا 31090
هاتف: 04-8552035 | فاكس: 04-8525973
mada@mada-research.org
www.mada-research.org

تدقيق وتحرير لغويّ | **حنّا نور الحاجّ**

تصميم | "**مجد**" للتصميم والفنون حيفا shorbaji.z@gmail.com

تصدر هذه الكرّاسة بدعم من مؤسّسة التعاون

2011-2012

المحتويات

مقدّمة

عن الكَرّاسة

كلمة شكر

القسم الأوّل

أنشطة وفعّاليّات

المحور الأوّل | أنشطة وفعّاليّات؛ النكبة كحدث مفصليّ ومستمرّ

المحور الثاني | أنشطة وفعّاليّات؛ القضايا الداخليّة

المحور الثالث | أنشطة وفعّاليّات؛ المواطَنة والتمييز المُمَأْسَس، التصوّر والحلّ المستقبليّ

القسم الثاني

مصطلحات وتعريفات

ملاحق

مقدّمة

وثيقة حيفا[1] كبرنامج تربويّ

"بعد أكثر من خمسين عامًا على النكبة الفلسطينيّة، قامت مجموعة من المثقّفين، الأكاديميّين والناشطين الفلسطينيّين، من مجالات مختلفة، ممّن يحملون وجهات نظر سياسيّة مختلفة، بالمبادرة إلى نصّ وثيقة توافقيّة تشمل رؤيا جماعيّة حول تصوّر الفلسطينيّين المواطنين في إسرائيل لوضعهم الجماعيّ والمعروفة بوثيقة حيفا. تتطرّق الوثيقة إلى هُويّة الفلسطينيّين مواطني دولة إسرائيل، وإلى علاقتهم بسائر أجزاء الشعب الفلسطينيّ والأمّة العربيّة، وعلاقتهم مع دولة إسرائيل والأكثريّة اليهوديّة، وإلى التحدّيات الداخليّة التي يواجهها المجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل"، وذلك تحت رعاية مدى الكرمل. تتطرّق الوثيقة في أساسها إلى تاريخنا كجزء من الشعب الفلسطينيّ الذي كانت النكبةُ الحدثَ المؤسِّس في تحديد مجراه، كما أنّ الصراع بينه وبين المشروع الصهيونيّ ومجرى هذا الصراع كانا وما زالا العاملَيْن المركزيَّيْن في تحديد مَعالم حاضره وآفاق مستقبله.

وقد رأى القائمون على البرنامج أنّ في صدور وثيقة حيفا والوثائق الأخرى ذات الصلة- التصوّر المستقبليّ والدستور الديمقراطيّ- مؤشّرًا قويًّا أنّ مجتمعنا قد بلغ مرحلة يستطيع فيها التعبير واضحًا عن رؤيته الجماعيّة وجعل صوته مسموعًا.

إيمانًا منّا بأهمّـيّة دور الشباب والحاجة لأن يكونوا شركاء فاعلين في بناء التصوّر المستقبليّ، وحقّهم في ذلك، وإيمانًا منّا بأهمّـيّة التواصل مع المدارس والطواقم التربويّة، لمركزيّتها ومحوريّتها في العمليّة التربويّة الثقافيّة وفي بناء الوعي والوعي البديل، قمنا في مدى الكرمل بتطوير برنامج تربويّ من خلال مشروع خاصّ جرى من خلاله العمل على تحضير موادّ تربويّة بروح وثيقة حيفا ومَلاحقها وموادّ إضافيّة ذات صلة، والعمل على إيصالها إلى جمهور الشباب من طلاّب ثانويّين

1. للاستفاضة في الموضوع، تجدون نسخة عن الوثيقة ومُرافقاتها تحت عنوان قراءات مرافِقة لوثيقة حيفا على موقع مدى الكرمل.

وطلاّب جامعات وشبيبة منخرطين في أطر إضافيّة. وذلك من خلال ورشات تدريب صفّـيّة ومن خلال ورشات تدريب بالمشاركة مع طواقم من المعلّمين.

نأمل من خلال هذا المشروع أن نساهم في ملء الفراغ البنيويّ والمُمَأسس القائم في برامج التربية العربيّة، ولا سيّما تلك التي تتحدّث عن الهُويّة والرواية التاريخيّة ووضع الفلسطينيّين الحاليّ في هذه الدولة، وفي الوصول إلى الشباب الفلسطينيّ في برنامج تربويّ متطوّر ينطلق من الرواية الفلسطينيّة ومن التاريخ الفلسطينيّ قبل النكبة وتجربة الفلسطينيّين في إسرائيل بعدها، والعمل على ترسيخ وبناء هُويّة جماعيّة تستند إلى التاريخ الفلسطينيّ. كذلك نحاول من خلاله تسليطَ الضوء على التحدّيات الداخليّة التي نعيشها كمجتمع فلسطينيّ الناتجة عن واقعنا الاجتماعيّ والثقافيّ، والتي لا يمكن عزلها عن سياسة إسرائيل المنتهَجة منذ النكبة إلى اليوم تجاه الشعب الفلسطينيّ في جميع أماكن تواجده.

يطرح المشروع رؤية مستقبليّة تحفّز على التفكير في طبيعة دولة إسرائيل والمستقبل السياسيّ للفلسطينيّين فيها وفي التواصل الفلسطينيّ والعربيّ، وتشكّل نقطة انطلاق لحلول مستقبليّة نكون نحن شركاء في بناء تصوّرها.

تتويجًا لسنة تجربة في العمل مع طلاّب المدارس ومع مجموعة من المعلّمين من بعض المدارس العربيّة، ولتسهيل عمل الموجّهين/ات مستقبلاً، نطرح بين أيديكم/نّ هذه الكَرّاسة.

عن الكَرّاسة

تُقسم الكَرّاسة إلى قسمين: يشمل القسم الأوّل رزمة أنشطة وفعّاليّات مرتكزة على مبادئ العمل مع المجموعات، وتشكّل هذه الرزمة اقتراحًا يمكن الاستفادة منه، من خلال استعمال الرزمة بشكلها المقترَح، كلّها أو بعضها من قبل الموجّهين/ات، بغية إثارة النقاش ودراسة القضايا والموضوعات المطروقة في الوثيقة.

يشمل القسم الثاني من الكَرّاسة مجموعة من المصطلحات والتعريفات الأساسيّة التي تطرّقت إليها الوثيقة خاصة في المحاور الاساسية التي شملتها وثيقة حيفا، وهي: النكبة وروايتنا التاريخيّة، القضايا الاجتماعيّة، العلاقة بين المواطنين الفلسطينيين ودولة إسرائيل، العلاقة بسائر اجزاء شعبنا الفلسطينيّ وبالأمّة العربيّة، وهويتنا الوطنيّة. هذه المصطلحات ممكن ان يستعملها الموجّهون/ات لإثارة النقاش والحوار بين الطلاّب، وممكن الاستفادة منها كمرجعيات معلوماتيّة يتم توجيه الطلاّب إليها سواء للنقاش، أو لتحضير الوظائف أو لكل هدف اضافي.

تجدر الإشارة هنا أنّنا انتقينا عددًا من المصطلحات الخاصّة بوثيقة حيفا ولم نتوسّع في جميعها، لمنع التكرار والازدواجيّة، وذلك أنّنا على علم أنّه ثمّة مؤسّسات وطنيّة أخرى تعمل على قضايا تتطرّق إليها الوثيقة قد أَعَدّت كتبًا ومَراجع معلوماتيّة في الإمكان اعتمادها هي نفسها مَراجعَ موثوقة[2].

2. نشير هنا، على سبيل المثال لا الحصر، إلى الإصدارات التالية: أمارة، محمّد؛ وكبها، مصطفى (محرّران). (2005). **هُويّة وانتماء- مشروع المصطلحات الأساسيّة للطلاّب العرب**. طمرة: ابن خلدون- الجمعيّة العربيّة للبحث والتطوير ومركز مكافحة العنصريّة.
مصطفى، مهنّد؛ و بقاعي، نهاد (محرّران). (2008). **60 عامًا من النكبة 60 مصطلحًا في النكبة- هُويّة وانتماء**. ابن خلدون- الجمعيّة العربيّة للبحث والتطوير، بديل ومجموعة عائدون.
رزمة بالتربية اللامنهجيّة. (2011). حيفا: جمعيّة بلدنا.
فوزي، ناصر (إعداد). (2008). **وتشهد الجذور**. الناصرة: جمعيّة الثقافة العربيّة.

كلمة شكر

نوجّه بهذا شكرنا الخاصّ لكل من الأساتذة: سميّة شرقاوي، عمر إغباريّة، وأحمد حجازي، الذين قاموا بإعداد الكَرّاسة التجريبيّة في المرحلة الأولى من المشروع (العام الدراسيّ 2008-2009)، اعتمدنا هنا بعضًا من المصطلحات والأنشطة الواردة فيها والتي جرى تطبيق بعضها آنذاك في الورشات الصفّيّة.

كذلك نتقدّم بالشكر لمعلّمي المدارس الذين شاركوا معنا في ورشة المعلّمين، وعلى حساب وقتهم الخاصّ، والذين ساعدتنا ملاحظاتهم ونقاشاتهم في إثراء الورشات ومنها الكَرّاسة.

شكر خاصّ للزملاء في مدى الكرمل الإخوة: إيناس عودة-حاج -المديرة المشاركة في "مدى الكرمل"، على مراجعة الكراسة، ولإمطانس شحادة على مراجعة المصطلحات، ولهمّت زعبي على مراجعة بعض المصطلحات، ولماريّا زهران على المساعدة في التجميع ونسخ الصور والأفلام.

القسم الأوّل:

أنشطة وفعّاليّات

يشمل هذا القسم من الكَرّاسة، كما أشرنا في المقدّمة، رزمة من الاقتراحات لأنشطة وفعّاليّات حول مواضيع متعدّدة تطرّقت إليها وثيقة حيفا، والتي بالإمكان اعتمادها خلال ورشات العمل مع الطلاّب والطالبات. من المفضّل المحافظة على التسلسل والترتيب المقترح من حيث المواضيع. يشمل كلّ موضوع عددًا من الاقتراحات، بالإمكان اختيار أحدها أو أكثر -بحسب الحاجة.

المواضيع التي يشملها هذا القسم تتوزّع على ثلاثة محاور:

1. **النكبة كحدث مفصليّ ومستمرّ** معناها وتبعيّاتها تاريخيًّا ولغاية اليوم وضمنها التهجير والنزوح واللّجوء؛ الحكم العسكريّ ووضعنا اليوم كفلسطينيّين.
2. **القضايا الداخليّة** التي تعود لِبِنًى داخليّة وأثر الدولة على هذه البِنى وشكْل تعاملنا معها ويشمل: مفهوم الجندر؛ قضيّة العنف ضدّ النساء والموقف منها؛ العنف بشكل عامّ كممارسة- تبعيّاته وإسقاطاته؛ الطائفيّة والحمائليّة والفئويّة وكيفيّة التعامل مع "الآخر الداخليّ".
3. **المواطنة والتمييز المُمَأسس، التصوّر والحلّ المستقبليّ** بما فيه: رؤيتنا لوضعيّتنا في الدولة؛ شكل الدولة المنشود؛ مفهوم وشكل المواطَنة؛ علاقتنا بأنفسنا كفلسطينيّين ومع سائر أبناء الشعب الفلسطينيّ في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة والشتات؛ علاقتنا باليهود؛ مفهوم المصالحة التاريخيّة والحلّ النهائيّ العادل؛ حقّ العودة، مفهوم العودة وتطبيق العودة.

علاوة على تفعيل الطلاّب لأخذ دور ناشط في الورشة وتدوين مشاعرهم واقتراحاتهم وأفكارهم، نقترح في ما يلي أن يطلب /تطلب الموجِّه/ة، منذ اللقاء الأوّل، من كلّ طالب/ة أن يُخصِّص دفتر يوميات للورشة يقوم فيه بتدوين جملة من فقرة أو أكثر بعد كلّ لقاء، قد تشمل أفكارًا ومشاعر وتساؤلات أثارها الموضوع والنقاش، أو اقتراحات وكلّ خاطرة تحضر في بالهم. يُطلب إلى كلّ منهم مع نهاية الورشة مراجعة ما كتبه بعد كلّ لقاء وإضافة صفحة شاملة أو أكثر عن الورشة ككلّ، تشمل تقييمًا وأفكارًا واقتراحات، وما إلى ذلك، يجري تجميعها، ومن الممكن انتقاء بعضها لنشرها لاحقًا في كَرّاسة.

من الممكن كذلك انتقاء بعض التعريفات والمصطلحات التي تظهر في الكَرّاسة، واستعمالها كمدخل لنقاش وحوار، وأن تشكّل بحدّ ذاتها مجرى فعّاليّة /نشاط؛ كأنْ يُطلب إلى الطلاّب إضافة معلومات وإجراء تعديل وتصحيح (إذا كان ثمّة حاجة إلى ذلك في رأيهم)، وإجراء مناقشة لِما يُقرأ، والكتابة بمجموعات صغيرة وكذلك بالمجموعة الكبيرة.

* ملاحظة عامّة: من المهمّ توجيه الطلاّب، في نهاية كلّ لقاء، إلى مواقع إلكترونيّة ومنشورات صادرة عن مؤسّسات وجمعيّات تتناول الموضوع المقترَح (نحو: النكبة؛ التهجير؛ حقّ العودة؛ المواطَنة؛ التصوّر المستقبليّ). في ما يلي بعض المواقع التي يمكن توجيههم إليها: جمعيّة الدفاع عن حقوق المهجّرين؛ جمعيّة ميراث إقرث؛ جمعيّة أبناء سحماتا؛ موقع بديل- المركز الفلسطينيّ لمصادرة حقوق المواطَنة واللاجئين؛ لجنة الأربعين- اللجنة من أجل الاعتراف بالقرى العربيّة غير المعترف بها؛ جمعيّة الثقافة العربيّة؛ موقع مدى الكرمل؛ موقع ذاكرات؛ موقع ممكن - مركز المعلومات والمصادر للشباب العرب- جمعيّة بلدنا. وفي موضوع الجندر والعنف ضدّ النساء، يمكن توجيههم إلى: السوار؛ نساء ضدّ العنف؛ كيان.

المحور الأوّل

أنشطة وفعّاليّات

النكبة كحدث مفصليّ ومستمر

الرواية التاريخيّة للنكبة والتهجير وانعكاسها لغاية اليوم

1. الموضوع: فلسطين ما قبل النكبة؛ النكبة؛ فلسطين اليوم

الهدف: تعزيز الانتماء والهُويّة الفلسطينيّيْن وتفنيد الرواية الصهيونيّة التي مُفادُها أنّ البلاد كانت أرضًا قاحلة عندما حضر اليهود إليها ولم يكن فيها شعب؛ التوعية لما أحدثته النكبة لشعبنا الفلسطينيّ ومجرى حياته ومستقبله.

نقطة الانطلاق: الشعب الفلسطينيّ شعب عريق له حضارة وتاريخ قطعته النكبة.

المدّة الزمنيّة: ساعة ونصف الساعة.

الموادّ المستعمَلة: مجموعة صورة فوتوغرافيّة وخرائط تتحدّث عن فلسطين في ما قبل النكبة بتنوّعها وأنشطتها المختلفة في مجالات المسرح والثقافة والفنّ والإذاعة والرياضة والحياة الاجتماعيّة والتطوّر الحضاريّ والمعماريّ.

مجرى الفعّاليّة: قبل البدء بالعرض الضوئيّ، يُطرح السؤال التالي للتفكير:

* لماذا يجب أن نعرف عن تاريخنا؟

بعد طرح السؤال، يقدَّم عرض ضوئيّ للصور[3] التي تستحضر فلسطين ما قبل النكبة، ومن ثَمّ ما حدث في النكبة . ثمّ يعاد طرح السؤال من جديد. ثمّ يُفتح المجال لهم للتعبير عن المشاعر والأفكار.

3. في الإمكان إعداد عرض ضوئيّ كهذا من مجموع الصور التي تظهر في الكتاب التالي: الخالدي، وليد (1987). **قبل الشتات: التاريخ المصوّر للشعب الفلسطينيّ 1948-1876**. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.

- في الإمكان كتابة بعض الإجابات على اللوح /الملصق قبل العرض وبعده. عند حصول تغيير في الإجابات، يُفحص كلّ ممّا يلي: أين جرى التغيير؟ فيمَ جرى؟ هل التغيير هو في الأفكار المسبقة؟ في الآراء؟ في المشاعر؟...
- يجري النقاش مع الطلاّب والتعليق والاستفسار عن الصور خلال العرض نفسه.

أسئلة موجّهة للطلاّب: لماذا برأيكم نحن لا نعلم الكثير عن فلسطين ما قبل النكبة؟ أين يجب أن نتعلّم عنها؟ ماذا تشعرون تجاه هذه المعلومات والصور؟ كيف برأيكم يمكن تعميم هذه المادّة والصور كي يعلم آخرون بها؟

فعّاليّة مكمّلة:

يُطلب إلى الطلاّب تحضير عرض ضوئيّ (بالمشاركة، أو على نحو فرديّ، أو ضمن مجموعات صغيرة -حسب اختيارهم) يشمل معلومات يحصلون عليها من أقاربهم وأهل بلدهم وغيرهم. يمكن توجيههم إلى مواقع تشمل صورًا وفيديوهات وخرائط (على سبيل المثال: موقع فلسطين الذاكرة؛ موقع ألبوم العرب؛ مخزن الصور في موقع ذاكرات...)، أو إلى كتب تشمل صورًا ومعلومات نحو:[4]

العرض الضوئيّ قد يتطرّق إلى بلدتهم أو إلى فلسطين بعامّة. يُعرض أمام الطلاّب بمساعدة الموجّهين/ات، ويجري تشجيعهم على بناء موقع مدرسيّ يشمل هذه الصور والمعلومات.

4. الخالدي، وليد (1987). **قبل الشتات- التاريخ المصوّر للشعب الفلسطينيّ 1876-1948**. بيروت: مؤسّسة الدراسَات الفلسطينيّة.).
شرابي، هشام (مراجعة وتقديم). (1991 ط1). **عطر مدينة يافا**. بيروت: دار الفتى العربيّ.
عبد الرحمن حمّودة، أحمد وآخرون (مؤلّفون).(1990 ط1). **موسوعة المدن الفلسطينيّة**. دمشق: دائرة الثقافة -منظّمة التحرير الفلسطينيّة.
الخالدي، وليد (2001، ط3). **كي لا ننسى- قرى فلسطين التي دمّرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها**. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.
أبو ستّة، سلمان (2007). **طريق العودة- دليل المدن والقرى المهجّرة والحاليّة والأماكن المقدّسة في فلسطين**. لندن: هيئة أرض فلسطين (يشمل هذا الكتاب خرائط لفلسطين ما قبل العام 48 بالإمكان استعمالها).

2. الموضوع: النكبة والتهجير

الهدف: التعريف بالرواية الفلسطينيّة للنكبة وأثر النكبة المستمرّة علينا، معناها وانعكاسها.

مدّة الفعّاليّة: ساعة ونصف.

مجرى الفعّاليّة: يعلّق المرشد/ة خارطتين كبيرتين لفلسطين في وضعها الحاليّ (إسرائيل اليوم) على حائطين في غرفة الورشة. يحضّر المرشد/ة رزمتين متشابهتين من عشرات البطاقات الصغيرة (خطّ بحجم 10) كُتب على كلّ بطاقة اسم قرية هُجّر أهلها عام 1948.

يوزّع المرشد/ة المجموعة إلى فرقتين ستتنافسان بعد قليل في ما بينهما على إيجاد المواقع للقرى الفلسطينيّة المدمّرة على الخريطة.

• لتسهيل العمل على الطلاّب، ولا سيّما أنّ الخريطة ملأى بالأسماء، ولمحدوديّة الوقت المخصَّص، في الإمكان التركُّز في منطقة جغرافيّة واحدة (كالجليل، أو المركز، أو النقب)، ويفضَّل أن تكون تلك هي المنطقة الجغرافيّة التي يسكن فيها الطلاّب.

• لمساعدة الطلاّب، يعطي المرشد/ة كلّ فرقة كتابًا عن القرى المهدّمة والمهجّرة (نحو: كتاب وليد الخالدي "كي لا ننسى"؛ كتاب سلمان أبو ستّة "طريق العودة"؛ وغيرهما)، وخريطة فلسطين ما قبل النكبة. إن كان ثمّة مجال لاستعمال الإنترنيت، يُطلب إلى الطلاّب استعماله هو كذلك في سبيل فحص مواقع تتناول النكبة والقرى المهجّرة، ويخصَّص وقت كافٍ لذلك (على سبيل الاقتراح: 30 دقيقة).

يعلن المرشد/ة عن إجراء مسابقة بين الفرقتين (مدّتها تتراوح بين 45 وَ 60 دقيقة). يُطلب إلى كلٍّ منهما إلصاق أكبر عدد ممكن من أسماء القرى في موقعها الأصليّ على الخريطة في المنطقة المحدّدة التي جرى اختيارها (تعلَّق على الخريطة بدبّوس).

مع انتهاء المدّة تُفحص النتائج. تَعرض كلّ مجموعة القرى التي أعادتها إلى الخريطة، وتذكر موقعها وما حلّ مكانها اليوم -حسب الخريطة أو حسب المعلومات الواردة في الكتب.

يُفسَح المجال للطلاّب للتعبير عن مشاعرهم خلال الفعّاليّة، ولإبداء ردّ فعلهم تجاه النتائج التي توصّلوا إليها حول عدد القرى والمدن المدمّرة، وربطها بأحداث

وأشخاص وقصص يعرفونها أو سمعوا عنها من قبل. على سبيل المثال: إذا كانوا هم من عائلة مهجّرة، ففي الإمكان المشاركة بقصص وأحاديث ترتبط بالنكبة والتهجير.

بعد ذلك، يدور الحديث عن القرى المهجّرة والنكبة، وتقدَّم إليهم معلومات مكتوبة حول الموضوع، ويُقرأ المقطع الذي يتطرّق إلى الموضوع في الوثيقة، في الصفحات 11-14.

فعّاليّة بديلة/مشابهة: تُعلَّق خريطة واحدة بدل اثنتين، إسرائيل الحاليّة. تُختار منطقة جغرافيّة محدَّدة كما في الفعّاليّة السابقة (يمكن استعمال خريطة للمنطقة لا لكلّ البلاد، تكون فيها الأماكن أوضح ومكتوبة بحجم أكبر)، ويُطلب إلى كلّ فريق محاولة استخراج أكبر عدد من القرى المدمَّرة ومواقعها وأسماء القرى والأماكن اليهوديّة التي بُنيت مكانها أو أُبقِيَ عليها وهُوِّدت، ووضع الملصقات في مَواضعها الصحيحة.

لاحقًا، تُعلَّق خريطة فلسطين الأصليّة بأسماء القرى والمدن الفلسطينيّة قبل النكبة في المنطقة ذاتها، وذلك إلى جانب الخريطة القائمة اليوم، ويفتح المجال للتعبير عن المشاعر والأفكار.

3. الموضوع- النكبة والتهجير بعيون النساء

صورة من الفيلم عن موقع "ذاكرات"

الهدف: عرض النكبة والتهجير من منظار نسائيّ ونسويّ، وإعطاء منصة لصوت المرأة الفلسطينيّة ولروايتها كجزء من التاريخ الفلسطينيّ.

مدّة الفعّاليّة: ساعة ونصف.

الموادّ المستعملة: فيلم "قصص نساء فلسطينيّات" (تسجيل وإخراج رنين جريس).[5] وثائقيّ، مدّته 10 دقائق، 2006. إنتاج جمعيّة ذاكرات/ زوخروت.[6] اللغة: عربيّة مع ترجمة إلى العبريّة والإنجليزيّة.

عن الفيلم: يروي الفيلم حكاية خمس نساء فلسطينيّات، أربع منهنّ مهجَّرات يعشن اليوم داخل حدود الدولة، وواحدة غير مهجّرة وبقيت تسكن في قريتها ترشيحا. يركز الفيلم على دور النساء الريفيّات قبل النكبة وخلالها وبعدها، ويشدّد على الدور الفاعل والقويّ والبارز الذي لعبته النساء الريفيّات خلال هذه الفترات.

مجرى الفعّاليّة:

(1) عرض الفيلم بدون تمهيد.

5. ملاحظة للموجّهين/ات: يُمكن عرض هذا الفيلم كذلك ضمن موضوع الجندر في المحور التالي، ابتغاءَ إظهار دَوْر النساء ومشاركتهنّ في العمل في فلسطين قبل النكبة. كذلك في الفيلم محاولة لكتابة التاريخ من وجهة نظر النساء.

6. تجدون في الموقع بعض الأفلام القصيرة تتضمّن جولات في قرى مهجّرة ومهدومة ومقابلات مع أهلها. كذلك الشأن في مواقع جمعيّات ذُكِرت آنفًا في الكَرّاسة، نحو: جمعيّة ميراث إقرث؛ جمعيّة أبناء سحماتا؛ وغيرهما.

(2) تعليق ونقاش للمضامين والقصص التي يطرحها الفيلم، والمشاعر والأفكار التي أثارها لديهم. وكذلك يُفتح المجال للطلاّب ليتناقشوا وليورِدوا أمثلة من واقعهم ومعارفهم وأقارب لهم مهجّرين، وما إلى ذلك...

أسئلة موجِّهة:

- كيف شعرتم عند مشاهدة الفيلم؟
- هل يعكس الفيلم أدوارًا معيّنة قامت بها النساء قبل النكبة وخلالها؟ ما هي هذه الأدوار؟
- هل في رأيكم يهتمّ المؤرّخون والكتّاب في توثيق دَوْر النساء؟
- مَن يَكتب التاريخَ؟ ولماذا؟

صورة من الفيلم، عن موقع "جوجل"

❖ **فيلم "عروس الجليل"**؛ (إخراج باسل طنوس). مدّته 50 دقيقة. يروي قصّة فاطمة هوّاري (من قرية ترشيحا)، فتاة مخطوبة، كانت في الثامنة عشرة من عمرها حين أغارت طائرة إسرائيليّة على بيوت قرية ترشيحا، وألقت بخمس قذائف من حمولتها على بيوتها. واحدة من تلك القذائف سقطت مباشرة على بيت عائلة فاطمة. بعد ساعات من القصف، وجد أهل القرية فاطمة مصابة بجراح بالغة، تحت حطام المنزل. أصيبت فاطمة بالعجز والشلل النصفيّ جرّاء ذلك. لذا فُسخت خطوبتها، وبقيت بما أصابها وحيدةً مع الأيّام، إذ تحوّلت حياتها إلى صراعات نفسيّة تتداخل فيها الذكريات الممزوجة بالألم والأماني.

4. الموضوع: النكبة والتهجير

الهدف: التعريف بالرواية الفلسطينيّة للنكبة.

مدّة الفعّاليّة: ساعة ونصف.

في الإمكان استخدام واحد من الأفلام المقترحة في ما يلي، فيُعرض كاملاً، أو تُختار مقاطع منتقاة من الأفلام الطويلة من بينها - ذاك مَنُوط بالمدّة الزمنيّة المتاحة.

يمكن عرض الفيلم ضمن فعّاليّة عامّة مدرسيّة أو صفّـيّة، وإجراء النقاش في مجموعة كبيرة أو مجموعات صغيرة.

أسئلة موجّهة:

- كيف شعرتم؟
- ما الأفكار التي دارت في أذهانكم؟ هل سمعتم أو تعرفون عن قصص مشابهة؟
- لو كنتم تريدون إخراج فيلم، فعلى ماذا كنتم تشدّدون؟

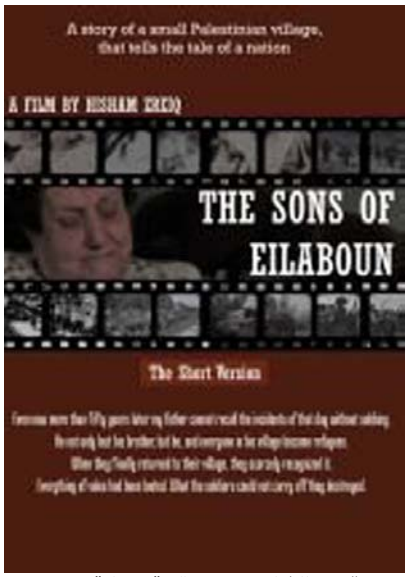

صورة من الفيلم، عن موقع "جوجل"

فيلم أبناء عيلبون- (إخراج هشام زريق). مدّته 26 دقيقة. يقوم فيه المخرج بالرجوع بالذاكرة إلى مجزرة عيلبون، من خلال روايات نساء ورجال من بلده.

فيلم عن حيفا؛ (تلفزيون فلسطين إنتاج نزار يونس- الأرز). عُرض ضمن برنامج فلسطين في الذاكرة، هنا فلسطين حلقة عن حيفا. الجزء الأوّل مدّته 12 دقيقة، الجزء الثاني مدّته 12 دقيقة. المؤرّخ د. جوني منصور يتحدّث عن حيفا قبل عام 1948، عن حيفا المدينة وأهمّيّتها كمدينة ساحليّة والحياة

الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والفنّيّة بتنوّعها، وخصوصيّتها المعماريّة ويتحدّث عن التهجير عام النكبة، وعن تغيير مَعالم المدينة وعن الحياة أثناء الحكم العسكريّ. يشمل الفيلم مقاطع لأحاديث نساء عشن في حيفا قبل عام 1948.

صورة من الفيلم، عن موقع "ذاكرات"

فيلم المنشيّة؛ إخراج رنين جريس (2010). إنتاج جمعيّة ذاكرات / زوخروت. مدّته 13:47 دقيقة.

يعتبر حيّ المنشية أحد أكبر أحياء مدينة يافا. بُنِيَ في سنوات السبعين من القرن التاسع عشر على شاطئ البحر، وهدمته قوّات الإيتسل في نيسان عام 1948. يعتمد فيلم "المنشيّة" على التاريخ الشفويّ لاثنين من مهجّري الحيّ، إفتخار ترك وصالح مصري، يرويان لنا بعد 62 عامًا حكايتهما الشخصيّة خلال الحرب والتهجير.

فيلم "مفاتيح"؛ للفنّان والمخرج سليم ضوّ، وهو فيلم وثائقيّ من إنتاج عام 2003، يروي قصصَ عائلاتٍ هُجّرت من مدنها وقراها بعد قيام دولة إسرائيل. يسردُ المخرج ضوّ في فيلمه أيضًا قصّته الشخصيّة مع التهجير ومصادرة أراضي أجداده التي بُنيت عليها في ما بعد أحياءٌ من مدينة كرمئيل.

صورة من الفيلم، عن موقع "جوجل"

فيلم "النكبة"؛ إعداد وإخراج روان الضامن (2008). مدّته 49:51 دقيقة. تصوير رامز قزموز، صوت نصّار سمارة، إنتاج الجزيرة. من أربعة أجزاء:

الجزء الأوّل: خيوط المؤامرة. يتحدّث عن احتلال فلسطين والتواطؤ الفرنسيّ والبريطانيّ. يتضمّن مقابلات مع مؤرّخين باحثين وسياسيّين فلسطينيّين وآخرين.

الجزء الثاني: سحق الثورة. مدّته 47:21 دقيقة.

الجزء الثالث: التطهير العرقيّ. مدّته 51:18 دقيقة.

الجزء الرابع: النكبة المستمرّة. مدّته 51:37 دقيقة.

5. الموضوع: زيارة إلى قرية مهجَّرة

الهدف: التعريف بالقرى المهجّرة عن كثب.

مجرى الفعّاليّة: اقتراح: يمكن اختيار قرية مهجّرة قريبة من المدرسة لزيارتها.

من المحبَّذ دعوة مُهَجَّر/ة من القرية نفسها خلال الزيارة ليروي للطلاّب حكاية التهجير، وَ/أو ممثّل عن الجمعيّات التي تعمل في المجال (نحو: لجنة المهجّرين؛ لجنة الأربعين للقرى غير المعترف بها؛ جمعيّة سحماتا؛ وغيرها).

في الإمكان أن يُطلب إلى الطلاّب تحضير مادّة عن هذه القرية مسبقًا. يمكن أن يشمل ذلك التحضيرُ مقابلةً مع مهجَّر/ة من تلك القرية، وتحضير أسئلة، ومن ثَمّ فتح مجال النقاش. من الممكن كذلك أن يكون من خلال زيارة مواقع القرى المهجَّرة، أو مشاهدة أفلام قصيرة عن القرى تعرضها الجمعيّات (مثل الأفلام في موقع ذاكرات).

اقتراح بديل- إن لم تنجح المدرسة في تنظيم زيارة للطلاّب إلى قرية مهجّرة، نقترح أن يُطلب إلى أربعة طلاّب أو خمسةٍ القيامُ بزيارة قرية معيّنة وتوثيق حكايتها من خلال مقابلات وصور وخرائط وفيديو وغير هذا. بعدئذٍ يعرضون ملخَّصًا عن هذه القرية في الصفّ حول ما يلي: سبب اختيارهم هذه القرية؛ كيفيّة قيامهم بتجميع الموادّ؛ الصعوبات والتحدّيات التي واجهتهم؛ ما تعلّموه. ومن ثَمّ يُدار حوار في الصفّ. بعد ذلك يمكن عرض المادّة عن هذه القرية على لوحة الإعلانات في المدرسة، أو في الصفّ، كي يتسنّى لسائر طلاّب المدرسة الاطّلاع على المعلومات.

نقاش في المجموعة: مشاركة في الأفكار والمشاعر؛ ماذا كنت أعرف عن الموضوع من قبل؛ أفكار مسبقة؛ أفكار مخطوءة؛ معلومات منقوصة؛ نظرتي اليوم لِمَا كان قبل النكبة، للنكبة كحدث التهجير؛ العلاقة بين المعرفة والحقيقة والتاريخ؛ أهمّـيّة أن نروي قصّتنا؛ حقّنا في أن نروي قصّتنا.

فعّاليّة مكمّلة/بديلة:

التهجير:

أ. تخيّل نفسك في وضع تهجير؛ حيث الانقطاع الكلّيّ عن الكمبيوتر وعن سائر وسائل الاتّصال. اكتب ما تشعر به، وما تفكّر فيه. على سبيل المثال، لو أُرغمتَ على ترك البيت على نحو مستعجل خائفًا فقدان كلّ شيء (أثناء حريق مثلاً): ماذا كنت تأخذ معك؟ ماذا تبقّي؟ لماذا؟ اكتب 5 حاجات كنت تأخذها معك، واذكر ما تعنيه بالنسبة إليك، وما تشعر به...

أسئلة موجّهة:

- هل تعرف أسماء قرى مهجّرة؟
- أين يعيش سكّانها اليوم؟
- ماذا تعتقد أنّ من واجب الفلسطينيّين القيام به تجاه المهجَّرين؟

ب. انكشاف على رواية شفويّة أو نصّ مكتوب عن التهجير. والنصّ الذي يتحدّث عن التهجير في وثيقة حيفا تجدونه في الصفحتين 11-12، تحت البند: "إنّ وجودَنا في وطننا هو امتداد لتجدُّد تاريخيّ دائم" وفتح مجال النقاش الجماعيّ.

في ما يلي مقترح لبعض الروايات الشفويّة عن التهجير والنكبة وفترة الحكم العسكريّ (التي امتدّت بين العام 1948 والعام 1966)، وبعض القصص والقصائد التي يمكن استعمالها كمحفّز للنقاش:

في كلّ قصّة ورواية نقترحها هنا، في الإمكان قراءة القصّة أو جزء منها ومناقشة بعض الأسئلة.

- مرقس، نمر (2000) . **أقوى من النسيان- رسالة إلى ابنتي** (1). ص 98-83.
- أبو حنّا، حنّا (2004). **خميرة الرماد**. حيفا: مكتبة كلّ شيء. (عن الحكم العسكريّ ومنع التجوّل وأنظمة الطوارئ والصعوبات نقترح قراءة "هكذا توقّفت البحيرة"، ص 16-19، أو: "من نتسيرت إلى نتسرات"، ص 36-43). (مُلحق رقم 1).
- ناطور، سلمان (2006). **ذاكرة**. بيت لحم: بديل- المركز الفلسطينيّ لمصادر حقوق المواطَنة واللاجئين (يمكن اختيار قصص صغيرة منها، وفتح مجال النقاش حولها مع الطلاّب، نحو: "الأدون" (ص 31-30)؛ "ضابط" (ص 32)؛ أمّ الزينات (ص 44-39)). (مُلحق رقم 2).

روايات تستحضر أصوات النساء اللاتي عشن النكبة والتهجير:

- "نكبة مستمرة.. نضال متواصل /قراءة في روايات النساء". في: ملفّ "المرأة الفلسطينيّة ذاكرة حيّة"، مجلّة "الجنى". 2009. ص 5 -27. (مُلحق رقم 3 - يشمل بعض صفحات المجلّة).

- عبده -مخوّل، جنان. النكبة كما عاشتها نساء فلسطين. 58 عامًا على النكبة- **جريدة حقّ العودة**، ع 17، أيّار 2006. بيت لحم: بديل- المركز الفلسطينيّ لمصادر حقوق المواطَنة واللاجئين. ص 32، مُلحق رقم (4).
- عبد الهادي، فيحاء. (2006). "أثر النكبة على المرأة الفلسطينيّة". في: أدوار المرأة الفلسطينيّة في الأربعينيّات- المساهمة السياسيّة للمرأة الفلسطينيّة. القدس: مركز المرأة الفلسطينيّة للتوثيق والأبحاث. ص 118-91. (مُلحق رقم 5- يشمل بعض صفحات الكتاب).

المحور الثاني

أنشطة وفعّاليّات

الموقف من المرأة، البنى الاجتماعيّة

* **ملاحظة**: من القضايا التي يمكن طرحها في سياق القضايا الداخلية - المساواة بين المرأة والرجل؛ مفهوم الجندر؛ العنف ضدّ النساء؛ "شرف" العائلة؛ الطائفيّة والعائليّة والحمائليّة.

1. **الموضوع**: مفهوم الجندر والتقسيم الاجتماعيّ

الهدف: تعريف الطلاّب بمفهوم الجندر وانعكاساته ومعناه، وأثره على مجتمعنا، وكيفيّة تطبيقنا له في ممارستنا وكيفيّة إحداث التغيير.

مدّة الفعّاليّة: تتراوح بين ساعة وربع وساعة ونصف.

مجرى الفعّاليّة: الجزء الأوّل فيلم ونقاش أو فعّاليّة ونقاش؛ الجزء الثاني مدّ الطلاّب بمعلومات نظريّة عن الموضوع.

الجزء الأوّل

- **الفعّاليّة 1 - صفات جندريّة**

عرض فيلم كرتون بعنوان "**الفرق بين المرأة والرجل**"، فيلم قصير (نحو 4 دقائق) عن الوظائف الجندريّة والتوقّعات المختلفة من المرأة والرجل. بعد عرض الفيلم، يُفتح مجال التعليق عليه.

أسئلة موجّهة:

- ماذا شعرنا تجاه الفيلم؟ لماذا ضحكنا عند مشاهدته؟

- ما رأينا بتقسيم الأدوار في الفيلم؟ هل نوافق معها؟ هل نعارض؟ وكيف نشعر مع هذا التقسيم؟
- إلى أيّ مدى يرتبط هذا الفيلم بالواقع الذي نعيشه؟
- كيف تقرّرت هذه الأدوار؟ هل هي مولودة أم مكتسبة؟
- ماذا كنت سأغيّر كشاب/فتاة في هذه الأدوار، وماذا كنت سأبقي منها؟ ولماذا؟
- هل هنالك ثمن ندفعه عند تغيير هذه الأدوار والوظائف؟
- هل يعكس تقسيم الأدوار اتّفاقا، أم إنّه ناتج عن موازين قوى لصالح أحد الأطراف؟

بعد النقاش، يحاول الموجّه الإشارة إلى الفرق بين الجنس والنوع الاجتماعيّ، ثمّ مناقشة مجتمعنا وعلاقات النوع الاجتماعيّ داخله، نحو: ما هو الممنوع والمسموح في مجتمعنا للبنت وكذلك للولد؟ أو ماذا كنت أعمل لو كنت أرى نفسي وكيلاً من أجل التغيير المجتمعيّ؟ أيّ حقوق أوافق عليها للفتيات وأيّ حقوق أرفض، ولماذا؟ (هنا قد نرى أنّ الحقوق العينيّة -كالدراسة والعمل- مقبولة؛ وذلك أنّها تعود بفائدة على الأسرة، بينما تُرفض حقوق أخرى).

* من المهمّ التركيز على "الذاتيّ"؛ والمقصود بهذا ألاّ يقتصر حديث الطالب على المجتمع وغيره، بل أن يتحدّث كذلك عن نفسه وعن أفكاره.

- **الفعّاليّة 2 - صفات جندريّة**

يقسم الموجّه اللوح إلى قسمين، الأوّل يتضمّن صفات المرأة وأعمالاً تناسبها، والآخر يتضمّن صفات الرجل وأعمالاً تناسبه. تضاف إلى هذه وتلك عباراتٌ وأمثال تُميِّز بين الرجل والمرأة، بين الذكر والأنثى.

يُطلب إلى الطلاّب أن يملأوا المربّعات بشكل حُرّ، من خلال طرح صفاتٍ تُميّز المرأة، ومهن تلائم عملها وأخرى تلائم الرجل، ومن ثَمّ يُفتح المجال للنقاش. كم منّا يوافقون/يعارضون؟ كم منّا يتصرّفون على هذا النحو؟ لماذا؟ من أين ينبع هذا التصرّف؟ هل اختلاف الصفات والتصرّفات طبيعيّ أم إنّه مكتسب من المجتمع والبيئة؟

سُقْ مثالاً لصفات طبيعيّة وأخرى اجتماعيّة.

لو كان في مستطاعكم تغيير الوظائف، فأيّ وظيفة كنتم تخصّصون للنساء؟ ما الدَّوْر الذي لا تأخذه هي اليوم؟ وهل برأيكم تستطيع القيام به؟

ما هي المعيقات التي تواجه الفتيات والنساء وتمنعهنّ من القيام ببعض المهامّ

والادوار؟

إمكانيّات أخرى للقيام بالفعّاليّة ذاتها:

- في الإمكان إجراء الفعّاليّة ذاتها بداية على نحو فرديّ، حيث يُطلب إلى كلّ طالب أن يأخذ ورقة يقسمها إلى قسمين أو ورقتين منفصلتين، وعلى كلّ واحدة /جزء يكتب صفات المرأة وصفات الرجل والمهن والأمثلة، ثمّ يُفتح باب العمل الجماعيّ وتُفحص الأمور التي تكرّرت لدى الغالبيّة، ويُفحص مصدرها ومدى تأثيرها علينا.
- في الإمكان إجراء الفعّاليّة ذاتها بداية على نحو فرديّ، حيث يُطلب إلى كلّ طالب أن يأخذ ورقة يقسمها إلى قسمين أو ورقتينً منفصلتين، وعلى كلّ واحدة / جزء يكتب صفات المرأة وصفات الرجل والمهن والأمثلة، ثمّ يُفتح باب العمل على هيئة أزواج أو مجموعات صغيرة، وكتابة المشترك لهم والمختلف، وإجراء نقاش ضمن المجموعة المصغّرة، ثم يُفتح المجال للمناقشة الجماعيّة.

خلال النقاش في كلّ الفعّاليّات المطروحة أعلاه، يجري التطرّق إلى النقاط التالية:

- أيّ مجتمع تريد؟ إبدأ بنفسك.
- أين كُنت تُدخل تغييرًا؟ بِمَ، وبأيّ صفات؟
- صفات أحبّ أن أبقي عليها وأخرى أحبّ أن أتخلّى عنها كفتى /كفتاة.
- ثمن التغيير. أين هو الأصعب في أن نغيِّر؟ ولماذا؟
- ما هو المسموح والممنوع؟ ما هي حدوده؟ ومن يقرّر في شأنه؟ ولماذا؟

(الهدف من كلّ هذه التطرّقات تحفيز الطلاّب على التفكير في ممارسات وأفكار وقيّم نحملها، وفي مصدرها، وفي ما تخدم، وفي من يتضرّر منها).

الجزء الثاني

مدّ الطلاّب بمعلومات عن الجندر بعد النقاش- مداخلة قصيرة 10-15 دقيقة. نظريّة معلوماتيّة من الكرّاسة عن تعريف الجندر، ونقاش.

2. الموضوع: الموقف من المرأة وقضايا العنف تجاهها

الهدف: إثارة النقاش حول مفاهيم مجتمعيّة عنيفة (كالقتل على خلفيّة الشرف والتنكيل الجسديّ والجنسيّ)؛ حثّ الطلاّب على اتّخاذ موقف أخلاقيّ من هذه القضايا، وفهم أهمّيّة أن يحمل المجتمع مسؤوليّته.

مدّة الفعّاليّة: ما بين ساعة وربع وساعة ونصف.

الموادّ المطلوبة: قصاصات جرائد من الصحف العربيّة؛ أقلام؛ كرتون للكتابة.

مجرى الفعّاليّة: يمكن أن يُطلب إلى الطلاّب أنفسهم، في اللقاء الذي يسبق هذا اللقاء، أن يَجمع كلّ واحد منهم بعضًا من الصحف العربيّة التي في السوق، وإحضارها ليوم الفعّاليّة، وانتقاء خبر أو أكثر يتحدّث عن الموضوع.

يُطلب إلى كلّ واحد/ة أن يختار خبرًا ويقرأه بصوت عالٍ على مسمع من المجموعة.

* ملاحظة: يمكن هنا العمل بصورة فرديّة في هذه المرحلة، أو تقسيمهم من البداية إلى مجموعات صغيرة (3-5)، ويُطلب إليهم اختيارُ خبر (أو خبرين أو ثلاثة)، وإشراكُ الآخرين في تفاصيل الخبر.

يمكن أن يُطلب إليهم أن يدوّنوا على ورقة بعض مميّزات الحادثة: مَن الضحيّة؛ مَن المعتدي؛ مواصفات كلّ منهما؛ المكان؛ وسيلة الاعتداء. في المقابل، يحضر الموجّه قائمة فارغة مشابهة، ويبدأ بتعبئتها بالتفاصيل من كلّ خبر كي تتشكّل صورة أوسع تشمل عددًا كبيرًا من الأخبار تطرح صورة عن حالات الاعتداء ومن يقوم بها وضحاياها والأسباب المعلنة.

مميّزات المعتدي (العُمر /الحالة الاجتماعية	مميّزات الضحيّة	المكان /البلدة	كيفيّة ووسيلة الاعتداء	الحُكم

يُفتح مجال النقاش في المجموعة حول مميّزات المعتدين والضحايا. يجري ربط القضيّة بالدَّوْر المجتمعيّ ومؤسّسات المجتمع والدولة في التعامل مع هذه القضايا، وتُفحص مواقفهم الشخصيّة من الموضوع، ويشدَّد على الفرق بين الأسباب المعلَنة والأسباب الخفيّة، ويُطلَب التفكير في بدائل وحلول.

أسئلة موجّهة:

- ما هي أهمّ الأمور التي يمكن إجمالها من اللائحة؟
- إلى أيّ مدى أشعر أنّ هذه الأحداث والقصص بعيدة أو قريبة منّي؟
- هل أشعر أنّي قادر/ة على أن أحمي نفسي من عنف أو اعتداء؟ كيف؟
- لماذا برأيك يقوم أب أو أخ أو زوج بقتل ابنته أو زوجته؟
- هل من حقّ أيّ إنسان قتلُ آخر؟ هل هنالك حالات توافقون فيها على القتل؟
- ماذا نعني بكلمة "شرف"؟ هل شرف المرأة مختلف عن شرف الرجل؟

3. الموضوع: الموقف من المرأة وقضايا العنف تجاهها

الهدف: إثارة النقاش حول مفاهيم مجتمعيّة عنيفة (كالقتل على خلفيّة الشرف)، وحثّ الطلاّب على اتّخاذ موقف أخلاقيّ من هذه القضايا، وفهم أهمّـيّة أن يتولّى المجتمع مسؤوليّته.

مدّة الفعّاليّة: ما بين تسعين دقيقة وساعتين

مجرى الفعّاليّة: يُعرض فيلم "**ياسمين**" (من إخراج نزار حسن) الذي يتناول قصّة حقيقيّة حول إخوة قاموا بقتل أختهم. يقوم المخرج بزيارة الأخت التي أدينت بالمشاركة في القتل للاستماع إليها، ويأخذها لزيارة قبر أختها القتيلة ساعة من الزمن.

يُفتح مجال للنقاش. بداية، يتاح المجال للبوح بالمشاعر والمشارَكة فيها.

يمكن فتح النقاش من خلال طرح الأسئلة التالية: مَن الضحيّة في الفيلم: هل هي الأخت القتيلة أم الأخت القاتلة؟ من هو المعتدي: الإخوة أم المفاهيم المجتمعيّة؟ ما موقفكم من القضيّة؟

مدّة النقاش: ما بين 45 دقيقة وساعة.

» **ملاحظة**: في الإمكان اختيار أفلام أخرى واستخدام مقاطع منها (منقوصة أو كاملة)، والقيام بالفعّاليّة نفسها بالمسار نفسه. من هذه الأفلام:

صورة من الفيلم، عن "جوجل"

فيلم **مغارة ماريّا** (من إخراج بثينة خوري). إنتاج مجد (2007). مدّته 52 دقيقة. يستحضر الفيلم مشاهد ومقابلات حول حوادث قتل فتيات في المجتمع الفلسطينيّ من الضفّة الغربيّة، قُتلن بسبب "سمعة" وتُهَم بحجّة المحافظة على شرف العائلة، ويثير نقاشًا مع الأهل والمجتمع والمفاهيم القائمة (كالشرف والدِّيَة والحكم العشائريّ). وماريّا هي فتاة قتلتها عائلتها، في العام 1936، ودُفنت في الطيّبة (قضاء رام اللّه)، وهناك مغارة على اسمها بجانب بقايا

كنيسة مار الياس/ الخضر. ويَستحضر الفيلم قصّة "عبير" (من اللدّ)، وهي مغنّية راب فلسطينيّة هُدّدت بعدم السماح لها بالغناء على المسرح، يستحضر أغانيها ومقابلة معها هي وأمّها وأختها التي كانت شاهدة على حادثة قتل فتاة في وضح النهار في الشارع العامّ.

فيلم **مشاهد منسيّة**. (من إخراج تغريد مشيعل). جمعيّة نساء ضدّ العنف (إنتاج الأرز). مدّته 50 دقيقة.

يثير الفيلم جملة من القضايا والمشاكل التي تعاني منها النساء الفلسطينيّات في مناطق 48، بعضها بسبب المفاهيم والعادات الاجتماعيّة، التي تُقيِّد المرأة وحرّيّتها، ولا سيّما شرائح معيّنة من النساء (كالمُطلَّقات والأرامل)، أو بسبب تمسُّك المجتمع بمفاهيم كالعنوسة. كذلك يشير الفيلم إلى تعدُّد الزوجات، والزواج المبكّر، وخطورة هاتين الظاهرتين على المرأة، ويبيّن الدَّوْر الذي تقوم به السياسات الحكوميّة، في تقييد النساء، وفي التأثير على أوضاعهنّ (كالبطالة، وظروف العيش الصعبة التي تعانيها المرأة، في القرى العربيّة غير المعترف بها).

* يجدر بالتوضيح أنّ لكلّ فيلم أسئلة موجّهة خاصّة به. لكن في المستطاع جعل الفيلم فاتحة لمناقشة قضيّة. على سبيل المثال: من خلال "نساء منسيّات" يمكن طرح مكانة المرأة المطلّقة والمرأة العزباء في مجتمعنا؛ من خلال "مغارة ماريّا" وَ "ياسمين" يمكن طرح قضيّة القتل على خلفيّة ما يسمَّى شرف العائلة.

الطائفيّة والحمائليّة العائليّة

ما بين المفهوم السلبيّ والإيجابيّ

الموضوع: الهُويّات المختلفة وأثرها على حياتنا فرديًّا وجماعيًّا.

الهدف: تعريف وتحديد الهُويّات ودوائر الانتماء؛ التعامل معها كمعطى وفحص مدى تأثيراتها على حياتنا كأفراد وكمجتمع؛ فحص متى تتحوّل الهُويّة إلى مدمّرة وإلى سلاح ضدّ الآخر الداخليّ، ومتى بإمكانها أن تكون مصدر دعم وانتماء.

الموادّ المستعملة: أفلام ومقاطع أفلام قصيرة؛ عرض ضوئيّ.

المدّة الزمنيّة: ما بين ساعة وساعة ونصف - لكلّ من الفعّاليّتين "1" وَ "2".

الفعّاليّة 1:

مجرى الفعّاليّة: تُعرض المقاطع على الطلاّب على نحو متسلسل: من السهل إلى الأصعب؛ فنبدأ بالمقاطع الكوميديّة، نحو: مقاطع مِنْ مسرحية "**أمّ حسين**" من اليوتيوب؛ مقاطع من فيلم "**حسن ومرقص**"؛ [7] ومن ثَمّ يكون الانتقال إلى مقاطع من مسرحيّة "**فيلم أميركي طويل**" (لزياد الرحباني- جزء أوّل، جزء ثان، جزء ثالث)، وبعد هذا يُعرَض فيلم "**بيني وبينك**" (نحو 3 دقائق) –وهو من إخراج إيلي رزق، ثمّ يكون الانتقال إلى التحدّث عن الطائفيّة.[8]

يُفتح المجال للحديث والتعليق والنقاش بعد كلّ مقطع: التعبير عن المشاعر؛ عرض أفكار؛ التعبير عن الموافقة أو المعارضة. وتُطرح أسئلة على غرار ما يلي:

- ما أسباب وجود الطائفيّة؟ كيف يمكن التعامل معها؟

7. الفيلم من إخراج: رامي إمام. يجسّد فيه عادل إمام شخصيّة رجل الكنيسة "مرقص" الذي يتعرّض لمحاولة اغتيال فتجعله الحكومة ينتحل شخصيّة رجل آخر اسمه "الشيخ حسن". أمّا عمر الشريف، فيجسّد شخصيّةَ شيخ مسلم اسمه "حسن" تحاول جماعة إرهابيّة تصفيته إثْر رفضه الانصياع لمحاولة تجنيده من قِبلهم، فتُقرّر الحكومة أن تحميه بجعله ينتحل شخصيّة رجل الكنيسة "مرقص". وهكذا يتبدّل دور كلّ منهما في إطار كوميديّ سياسيّ. يعرض الفيلم الصراعات الطائفيّة القائمة في المجتمع المصريّ خفْيةً وعلنًا، وما تنطوي عليه هذه الصراعات من نتائج، والثمن الذي يدفعه الأفراد والمجتمع جرّاء هذه الطائفيّة.
مدّة الفيلم "حسن ومرقص" كاملةً: (1:50:22)

8. في الإمكان بناء نموذج لصور من خلال البحث في غوغل تحت عنوان "الطائفيّة".

- كيف شعرنا عند مشاهدة المقاطع المصوّرة؟
- متى أشعر أنّ هُويّتي الدينيّة تكون بارزة، ومتى أشعر بعدم بروزها؟
- هل هنالك مواقف أشعر فيها أنّ هُويّتي الدينيّة مُهدّدة؟ متى؟ كيف أتصرّف؟
- لماذا برأيك هنالك طائفيّة؟ ما العوامل أو الظروف التي تقوّيها وتعزّزها، وما العوامل التي تقمعها؟
- اذكر حوادث حصلت معك أو مع غيرك، شعرت أنّ الطائفيّة كانت حاضرة فيها. كيف شعرت؟ كيف تصرّفت؟
- إذا راجعتَ نفسك الآن، فهل ترى أنّك تحمل بعضًا من المسؤوليّة؟
- كيف برأيك يمكن التخلّص من النزعات العائليّة والطائفيّة؟
- في الإمكان قراءة الجزء الذي يتحدّث عن الموضوع في وثيقة حيفا، ومن المهمّ الإشارة إلى أنّ هذه النزعات تَقْوى حين تَضعف العلاقةُ المركزيّة بين المواطنين: الرابطُ الوطنيّ أو القوميّ.

الفعّاليّة 2:

يُقسم الصفّ إلى مجموعات، أو يجري العمل بصورة فرديّة. يُطلب إلى الطالب أن يتذكّر مشاهد وحوادث جرت على خلفية طائفيّة أو عائليّة في بلده (حادثة عنف؛ رفض زواج؛ خلافات خلال فترة الانتخابات؛ أو الدعّوة إلى التّصويت والانتخاب على هذه الخلفيّة). يُطلب إلى الطلاّب كتابة سيناريو يمثّل الطائفيّةَ، ممّا يعيشونه (في المدرسة أو البيت أو الحارة) أو سمعوا به أو قرأوا عنه، ثمّ يحوّلونه إلى عمل مسرحيّ قصير (5 دقائق -مثلاً). بعد الكتابة، يقومون بتمثيل المشهد أمام زملائهم في الصفّ، ومن بعدها يُفتح باب النقاش حول الموضوع.

خلال النقاش، يُطلب إلى الطلاّب التطرّق إلى ما يلي: كيف سارت الأمور؟ كيف تصرّفنا؟ من المسؤول؟ هل سلوك أحد الأطراف سلوكًا طائفيًّا يبرّر طائفيّةَ الطرف الآخر؟ مَن المستفيد مِن الطائفيّة؟

ماذا كنت تقترح لتغيير الوضع؟

إذا أردت تصوير صفات الإنسان الطائفيّ /العائليّ، فكيف تفعل ذلك؟ (للتفكير: يقترح عليهم الموجّه /المرشد أن يفكّروا في الإنسان الطائفيّ: كيف يربَّى؟ كيف يتصرّف مع جيرانه؟ ما مدى انتمائه الوطنيّ؟).

* للاطّلاع على مادّة نظريّة في هذا الشأن، في وسع الموجِّه/ة المعلّم/ة أن يستعيد مقاطع من ملفّ الطائفيّة: مجلّة الآداب، ومصادر أخرى وَرَدَ ذكْرها في تعريف الطائفيّة ضمن الجزء الثاني من هذه الكرّاسة.

المحور الثالث

أنشطة وفعّاليّات

المواطَنة والتمييز المُمَأْسَس، التصوّر والحلّ المستقبليّ

(أ)

المواطَنة والتمييز المُمَأْسَس: مفهوم المواطَنة ووضعيّتنا كمواطنين فلسطينيّين في الدولة

الموضوع: مفهوم المواطَنة والعلاقة بالدولة

الأهداف: كشف الطلاّب على وضعيّة المواطنين الفلسطينيين في دولة إسرائيل والتمييز الحاصل ضدّهم. ويجري ذلك من خلال تسليط الضوء على بعض القضايا الإشكاليّة في مفهوم المواطَنة وعلاقتنا بالدولة، نحو: القرى غير المعترف بها؛ يوم الأرض؛ هبّة أكتوبر (ومقتل 13 شابًّا خلالها)؛ يوم النكبة؛ "يوم الاستقلال"...

المدّة الزمنيّة: ساعة ونصف.

الموادّ المطلوبة: أحد أفلام مؤسّسة عدالة "**سلسلة عدم مساواة**" عن وضعيّة المواطنين العرب في الدولة؛ أو أفلام أخرى تتحدّث عن الهُويّة وعن المواطَنة (فيلم "استقلال"؛ فيلم "**خلقنا وعلقنا**"؛ "**شتات**" -أو مقاطع منها)؛ أفلام بلدنا التي تتناول الخدمة المدنيّة؛[9] أغنية "**مواطن مستهدف**" من فيلم عدالة.[10]

مجرى الفعّاليّة: يُعرض الفيلم ويُفتح المجال للنقاش حول المضامين، وطرح أفكار ومشاعر حول الموضوع، وطرح تصوّر للحلول.

9. أفلام عن الخدمة المدنيّة: أوهام الخدمة المدنيّة (مدّته 1:57 دقيقة). وهو الجزء الثالث من سلسلة فيديوهات قصيرة، بإطار الحملة ضدّ الخدمة المدنيّة التي تقودها جمعيّة الشباب العرب- بلدنا والائتلاف الشبابيّ ضدّ الخدمة المدنيّة، يوضّح جانب الحقوق والواجبات بالنسبة لموضوع الخدمة المدنيّة ويبدّد الأوهام التي تشاع حوله)؛ أوهام الخدمة المدنيّة - مدّته 1:33 دقيقة. الجزء الثاني من سلسلة الفيديوهات يوضّح الجانب المالّي لموضوع الخدمة؛ شباب ضدّ الخدمة المدنيّة- مدّته 2:50 دقيقة.

10. الفيلم متوفّر في مركز عدالة.

أفلام ملائمة:

الأرض المحظورة، 2008. عدالة. 7 دقائق وَ 55 ثانية. يسلّط الفيلم الوثائقيّ الضوء على قضيّة مصادَرة الدولة لأراضي الفلسطينيّين. صودرت أراضي الفلسطينيّين خلال سنوات الخمسين والستّين من القرن الماضي، بعد أن سيطرت عليها الحكومة بحجّة أنّها مطلوبة لخدمة المصلحة العامّة.

غير المعترف بهم: عدالة، **مدّة الفيلم**: 23 دقيقة. "غير المعترف بهم" هو فيلم وثائقيّ قصير يبرز مأزق المواطنين العرب البدو الفلسطينيّين في إسرائيل، الذين يعيشون في صحراء النقب، والذين اقتُلع الكثيرون منهم من أراضيهم في أعقاب إقامة الدولة في العام 1948. إنّ نحو 70,000 من هؤلاء المواطنين يعيشون الآن في ظلّ فقر "القرى غير المعترف بها"، حيث يُحرمون من الخدمات العامّة الحيويّة ويواجهون انتهاكات حقوق الإنسان الأساسيّة بسبب التّمييز المؤسّس. الفيلم من إنتاج: Fifty Nine Ltd. جرت كتابة وطلب الفيلم من "عدالة" بدعم من Oxfam GB والاتّحاد الأوروبيّ.

"**مواطن مستهدف**" – الفيلم من إخراج السينمائيّة راحيل ليه جونس ومدّته 15 دقيقة. الجزء الأوّل: يستعرض التمييز الممارَس ضدّ المواطنين الفلسطينيّين في إسرائيل في جميع نواحي الحياة. ومن خلال مشاركة المختصّين - د. يوسف جبارين (من التخنيون)، د. خالد أبو عصبة (من معهد "فان لير")، محامي "عدالة" سوسن زهر وعبير بكر وحسن جبارين- جرى التطرّق إلى مسائل عدم المساواة في الأراضي والبناء والعمالة والتعليم والحقوق السياسيّة والمدنيّة. وقد جرى تدعيم هذه اللقاءات من خلال لقاءات غير رسميّة وعشوائيّة مع عابري سبيل أجراها الثنائيّ الفلسطينيّ الكوميديّ "شمّاس نحّاس"، ومن خلال فواصل القوافي القويّة التي قدّمها ثلاثيّ dam الفلسطينيّ للراب. وقد كُتبت أغنية "مواطن مستهدف – بدنا عدالة" لفرقة dam وسُجّلت خصّيصًا لـ "عدالة" ولهذا الفيلم، بحيث تروي القصّة وما يجري، كما هي، ودون أيّ نقصان.

صورة من الفيلم، عن موقع "جوجل"

أفلام إضافيّة:

خلقنا وعلقنا: (كتابة وإخراج عُلا طبري). مدّته 90 دقيقة؛ 2002. وهو فيلم وثائقيّ، لا بالمعنى الإخباريّ، بل بالمعنى الروائيّ. تفحص فيه المخرجة -على حدّ تعبيرها- "قضيّة هُويّة فلسطينيّي الداخل كفلسطينيّين في الدولة العبريّة، وتأثير اختلاط التربية المدرسيّة المنهجيّة بالتربية الأسريّة عليهم وعلى مفهوم الهُويّة لديهم. تقوم بذلك من خلال زيارة شخصيّة من باريس، مكان

سكنها، إلى الناصرة، البلدة التي وُلدت وعاشت فيها، وعودة إلى باريس". تنطلق المخرجة من التجربة الشخصيّة، وتتوجّه بالسؤال: بل بالتحقيق مع أمّها، وأبيها ومعلّمتها وأترابها، حول تربيتهم لأبنائهم وتعاملهم مع الهُويّة. اللغة الأساسيّة للفيلم هي العربيّة.

* الفيلم طويل يُقتَرح أخذ مقاطع منه لإثارة النقاش.

شتات- (كتابة وإخراج عُلا طبري). مدّته 16 دقيقة؛ 2005. يتمحور هذا الفيلم في قضيّة الهُويّة، من خلال قصّة شخصيّة لامرأة تعيش في عالمين. تحاول المخرجة -على حدّ تعبيرها- "أن تجيب عن أسئلة تتعلّق بالانتماء، والغربة، والاختلاف والقبول. وكذلك تستحضر المشاعر والأفكار التي تراودها حين يصلها خبر وفاة أبيها وهي بعيدة. يخرج الفيلم من الذاتيّ-الخاصّ ويحاول أن يلتقي بالآخر، وذلك بعيدًا عن لغة الشعارات والخطابات، بل من موقع شخصيّ خاصّ". اللغة الأساسيّة كذلك هنا هي العربيّة، إضافة إلى وجود مقاطع بلغات أخرى: الإنجليزيّة والفرنسيّة والعبريّة.

"**جنغا 48**" (إخراج وسيناريو عُلا طبري). إنتاج الأرز. المنتج المنفّذ نزار يونس (لصالح قناة الجزيرة للأطفال؛ الإنتاج العامّ فيصل حسايري). مدّته 76 دقيقة؛ 2009. في هذا الفيلم نتابع مسيرةً تخْرُج فيها المخرجة برفقة الفتاتين عدن وورد ضاهر (14 وَ 15 عامًا) من الناصرة، اللتين تتمتّعان بحسّ ووعي وطنيَّيْن كبيرين قياسًا إلى سنّهما الصغيرة، وتبحث الثلاث معًا عن معنى الهُويّة وطريقة الحديث عنها وتناولها في المدارس العربيّة في إسرائيل على مَرّ الأجيال. يستعرض لقاءات مع عدد من الشخصيّات السياسيّة والفنّيّة والتربويّة والثقافيّة والجمهور العامّ.

صورة من الفيلم، عن موقع "جوجل"

(ب)

التصوّر المستقبليّ: إمكانيّة المصالحة وتطبيق حقّ العودة

- **الموضوع**: علاقة المواطنين الفلسطينيّين مع الدولة، تطبيق حقّ العودة وشكل الدولة المتوقّع.

الهدف: تعريف الطلاّب على التصوّر المستقبليّ الذي تطرحه الوثيقة وعلى حقّ العودة والتفكير بإمكانيّة تطبيقه ونقاشه وتعريفهم بمفهوم المصالحة المشروطة الذي تطرحه الوثيقة والذي يشدّد على ضرورة اعتراف إسرائيل بالقرار "194"، الاعتراف بحقّ العودة والعمل على تطبيقه.

المدّة الزمنيّة: ما بين ساعة وساعة ونصف (تشمل فعّاليّتين).

مجرى الفعّاليّة:

الفعّاليّة (1)

عرض فيلم "**لاجئو يافا يتحدّثون عن العودة**" (2011)، مدّته نحو 6 دقائق. سيناريو: إيتان برونشطاين؛ تصوير: مايكل كندي؛ مونتاج: رنين جريس؛ اللغة: عربيّة ترافقها ترجمة إلى العبريّة والإنجليزيّة.

صورة من الفيلم منقولة عن موقع "ذاكرات"

هذا الفيديو أُعِدّ خصّيصًا للمعرض "نحو عودة اللاجئين الفلسطينيّين" الذي عُرض في صالة العرض التابعة لجمعيّة ذاكرات- زوخروت في أيلول 2011. جرى تصوير الفيديو في مخيّم بلاطة للاجئين في نابلس حيث يحدّثنا لاجئو يافا عن عودتهم إلى المدينة التي طُردوا منها عام 1948.

فتح مجال النقاش والحوار- يجري التعبير عن مشاعر وأفكار تتعلّق بالفيلم. ما هو حقّ العودة؟ ماذا تعرفون عنه؟

الفعّاليّة (2)

يُقرأ مقطع معلوماتيّ عن حقّ العودة واللاجئين ممّا ورد في الكَرّاسة،[11] وممّا جاء في وثيقة حيفا.

يقدَّم تعريف معلوماتيّ عن معنى المصالَحة من الكَرّاسة، ومن المقطع الذي يتطرّق إلى المصالحة في وثيقة حيفا تحت العنوان: "نحن نتطلّع إلى مستقبل تتحقّق فيه المصالَحة":

"تتطلّب المصالحة الاعتراف بحقّ العودة والعمل على تطبيقه وَفقًا لقرار الأمم المتّحدة "194" وإنهاء الاحتلال، وإزالة المستوطنات من جميع الأراضي العربيّة المحتلّة منذ العام 1967، والاعتراف بحقّ شعبنا الفلسطينيّ في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلّة وذات السيادة، وبحقوق المواطنين الفلسطينيّين في إسرائيل، المستندة إلى كونهم أقلّـيّة وطن"... (وثيقة حيفا، ص 14).

مناقشة الأفكار المطروحة مع الطلاّب مناقشة حرّة

بناء تصوّر لعودة اللاجئين: يُطلب إلى الطلاّب أن يتخيّلوا أنّ اللاجئين عادوا اليوم: إلى أين يعودون؟ كيف؟ يُطلب إليهم أن يبنوا خطّة تأخذ فيها ذلك بالاعتبار. يجري نقاش في مجموعات صغيرة (3-5 أفراد) لمدّة 20 دقيقة، ثم تُطرح الحلول أمام المجموعة الموسّعة.

- أثناء سير النقاش، ينبَّه الطلاّب إلى التفكير في بعض القضايا، نحو: الأراضي؛ المياه؛ القوانين؛ البيوت المصادَرة.

- **فعّاليّة إضافيّة وَ/أو بديلة**

تُنظَّم زيارة قرية مهجّرة قريبة من مسكن الطلاّب ومعروفة لهم. يوفّر المعلّم/ة لهم الخرائط والمعلومات عن القرية، وعن أهلها المُهجّرين، وعن وضعها اليوم، والأحراش أو المستوطنات الواقعة أو المقامة على أراضيها. وبعدها يُقسم الصفّ إلى مجموعات، تعمل كلّ منها على تخطيط العودة إلى القرية مع الأخذ بعين الاعتبار جميع التحدّيات القائمة.

يمكن الاستعانة ببعض الأسئلة التي استعملناها سابقًا في الكَرّاسة، ضمن الفعّاليّة عن النكبة والعرض الضوئيّ عن المدن والقرى الفلسطينيّة قبل النكبة، نحو ما يلي: كيف سيكون شكل القرية؟ كيف سيكون توزيع الأراضي؟ ماذا عن تأهيل اللاجئين؟ ماذا عن المساواة بين الرجل والمرأة؟ هل ستكون القرية خالية

11. في هذا الشأن، يُنظر في الكَرّاسة في بند التعريفات عن حقّ العودة واللاجئين.

من اليهود أم لا؟ ماذا نفعل بالمستوطنة القائمة على أنقاض القرية؟ ما عدد اللاجئين اليوم من أهل القرية؟ ماذا نفعل إن قرّر اللاجئون كلّهم أو جزء كبير منهم عدم العودة؟ ماذا عن التعويضات؟ هل يمكن تطبيق العودة والمصالحة مع اليهود؟ هل تطبيق العودة شرط للمصالحة؟ هل يمكن إجراء المصالحة دون تطبيق حقّ العودة؟

ارسم خريطة القرية. ما الذي ينبغي توافره في القرية (نوادٍ؛ ملاعب...)؟ ما عدد المدارس؟

الموضوع: تصوّر للحلّ المستقبليّ الممكن

الهدف: أن يأخذ الطلاّب دَوْرًا في طرح الحلّ المستقبليّ للفلسطينيّين في البلاد من خلال العلاقة مع الدولة، كجزء من الشعب الفلسطينيّ في كافّة أماكن وجوده، وكجزء من الأمّة العربيّة.

مدّة الفعّاليّة: لقاء لمدّة تتراوح بين تسعين دقيقة وساعتين.

الموادّ المطلوبة: نُسخ بعدد المشتركين من المقطع الذي يتطرّق إلى التصوّر المستقبليّ في وثيقة حيفا (في الصفحات 14-17).

1. يُقسم الصف إلى مجموعات صغيرة. يُطلب إلى المجموعات قراءة النصّ ثمّ استخراج التعابير التي تحتاج إلى شرح.

- الاستعانة بقاموس المصطلحات، في سبيل توضيح هذه التعابير، نحو: المصالحة؛ النكبة؛ حقّ العودة؛ قرار الأمم المتّحدة رقم 194؛ أقلّيّة وطن؛ حقّ تقرير المصير والحكم الذاتيّ؛ المصالحة والتسوية.

2. اختيار المصطلحَيْن "تطبيق حقّ العودة" وَ "المصالحة" لبناء الدولة المتخيَّلة المستقبليّة.

- بالإمكان اختصار الفعّاليّة الأولى بتعريف الطلاّب بشكل سريع على دلالات هذه المصطلحات أو توزيعها عليهم مسبقًا، قبل اللقاء، وقراءة المقطع الذي يتطرّق إلى الحلّ المستقبليّ بالمشاركة، ومن ثَمّ التمحور في المصطلحين المذكورين- المصالحة وتطبيق حقّ العودة. ويجري تقسيمهم للعمل في مجموعات صغيرة.

أسئلة موجّهة:

كيف ترى العلاقة بين العرب واليهود في الدولة المنشودة؟

هل نسكن معًا؟ هل كلٌّ في بلده؟

هل يمكن أن تكون الدولة يهوديّة ويكون الحلّ عادلاً؟

ماذا عن اللاجئين؟ ماذا عن الأرض؟ كيف نتصوّر حلّ مسألة هدم البيوت؟ هل سنقيم قرى أو مدنًا فلسطينيّة جديدة؟

كيف تتصوّرون الدولة (البرلمان؛ اللغة...)؟ كيف تكون مدارسنا؟

الموضوع: التصوّر المستقبليّ الشامل في ما يتعلّق بشكل المجتمع والدولة

الهدف: تحفيز الطلاّب على أخذ دور في بناء تصوّر مستقبليّ شامل لا جزئيّ.

المدّة الزمنيّة الكلّيّة للنشاط: ساعة ونصف.

الفعّاليّة:

بعد إثارة النقاش حول شكل الدولة، نتحدّث كذلك عن شكل المجتمع ونقارن ما بين القضايا المختلفة التي عالجناها في اللقاءات. يجري ذلك كما في توزيعهم إلى مجموعات مختلفة تأخذ كلّ منها على عاتقها بناءَ تصوُّر في المجالات المختلفة، أو من خلال إجراء نقاش جماعيّ وطرح إجابات فرديّة.

يمكننا أن نسأل كلّ طالب/ة أو كلّ مشارك/ة: كيف كنت تريد أن ترى المستقبل في كلّ ما يتعلّق بما يلي:

- واقعنا المجتمعيّ (في التوجيه نشير إلى كلّ ما يتعلّق بالأمور التالية:
- حقوق الأفراد؛ حقوق النساء؛ النسيج الاجتماعيّ الذي يشمل عائلات وطوائف؛ وغيرها).
- شكل الدولة الذي ترغب به وتراه أفضل حلّ.
- كيف ترى إمكانيّة المصالحة بين العرب واليهود؟ على أيّ أسُس؟
- في الإمكان كذلك ربط التفكير (في أعقاب حدوث الثورات في العالم العربيّ) بأسئلة على غرار:
- في أيّ عالم عربيّ تريد أن تكون؟ ماذا تفكّر في ما يتعلّق بشكل المنطقة؟ ماذا عن علاقتنا بالعالم العربيّ؟

القسم الثاني:

مصطلحات وتعريفات

النكبة المستمرّة

النكبة هي الكارثة الكبرى التي حلّت بالفلسطينيّين عام 1948، "فغيّرت حياتهم إلى أبعد الحدود وقطعت مشروع الحداثة وتكوُّن الشعب. ففي المقام الأوّل دفعتهم إلى الشتات، حيث تحوّل قرابة الـ 80 بالمئة من الفلسطينيّين إلى لاجئين. لذلك، تمثّل النكبة بنظر الفلسطينيّين فقدان الوطن، وانهيار المجتمع، وفشل الطموحات القوميّة، وبداية متسارعة تهدّد بتدمير ثقافتهم.. فقد اقتُلع المجتمع الفلسطينيّ من الساحل الفلسطينيّ، وهُدمت المدينة الفلسطينيّة، وهُدم معها حلم ما بين الحربين العالميّتين، حلم النخب العربيّة والطبقات الوسطى ببناء الوطن العربيّ المستقلّ واللحاق بالحداثة، وفقد الفلاح الفلسطينيّ الذي كان يصارع طبيعة البلاد بمِعْوَله من خلال الانسجام معها، فَقد هذا الصراع".[12]

وكان قسطنطين زريق أوّل من أطلق هذه التسمية ("النكبة") على ما حدث عام 1948، إذ يقول: "إنّ مئات الآلاف من أهل هذا البلد المنكوب لم يشرَّدوا من بيوتهم ويهيموا على وجوههم فحسب، بل إنّ أفكارهم وآراءهم وأفكار أبناء وطنهم في شتّى منازلهم قد شُرّدت أيضًا وهامت".[13] وعمليًّا، إنّ "النكبة هي اللحظة العنيفة التي خلقت قطيعة لا يمكن جَسرها بين الماضي والحاضر. فهي تشكّل نهاية الحياة العاديّة، والمقصود بذلك أنّ هذا الشرخ زعزع التطوّر الطبيعيّ للتاريخ".[14] "أدّت النكبة أوّلاً وقبل كلّ شيء إلى تشتيت الشعب الفلسطينيّ وفقدانه لوطنه. وقد تأثّر جميع الفلسطينيّين بهذه الدرجة أو تلك نتيجة لتلك الكارثة"،[15] إذ استولت الحركة الصهيونيّة على معظم مساحة فلسطين. وقد أقيمت إسرائيل "على ٪78 من أراضي

12. بشارة، عزمي. **في البحث عن معنى...للنكبة**. موقع عرب 48. http://www.arabs48.com/?mod=articles&ID=36735- (16/05/2006).

13. زريق، قسطنطين [(1948)، 1994]. **معنى النكبة، في الأعمال الفكريّة العامّة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة. ص 17.

14. سعدي، أحمد (2006). "الذاكرة والهُويّة". في مصطفى كبها (محرّر). **نحو صياغة رواية تاريخيّة للنكبة**. حيفا: مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة. ص 69.

15. سعدي، مصدر سابق، ص 64.

فلسطين التاريخيّة"،[16] وقامت بطرد وتهجير غالبيّة الشعب العربيّ الفلسطينيّ (نحو 780 ألف فلسطينيّ من أصل نحو 1.3 مليون نسمة وَفق تقديرات سكّانيّة من العام 1948). في بداية عام 2007، بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيّين قرابة سبعة ملايين لاجئ، ونحو 450,000 فلسطينيّ مهجَّر داخليّ، ويشكّل هؤلاء اللاجئون والمهجَّرون نحو 70٪ من إجماليّ تعداد الشعب الفلسطينيّ المنتشر في جميع أنحاء العالم والذي بلغ نحو 9.8 مليون نسمة مع بداية عام 2007 (لمحة تاريخيّة -بديل).[17] وقامت المنظّمات العسكريّة اليهوديّة بتدمير أكثر من 550 قرية ومدينة، ومن ثَمّ عشية الإعلان عن قيام دولة إسرائيل كدولة الشعب اليهوديّ يوم 15/5/1948، وهو اليوم الذي يُحيي فيه الفلسطينيّون يوم نكبتهم كلّ سنة "بعد عام 1948، تحوّل من بقي من الفلسطينيّين في وطنهم إلى أقلّيّة في إسرائيل(160,000 من الرجال والنساء والأطفال). وتعاملت معهم إسرائيل كمواطنين من الدرجة الثانية، وصادرت معظم أراضيهم، ووضعتهم تحت مراقبة أمنيّة مستمرة، وفرضت عليهم الحكم العسكريّ"،[18] الذي استمرّ من عام 1949 حتّى عام 1966.

ولا تزال تَبِعات وآثار النكبة الفلسطينيّة ظاهرة حتّى يومنا هذا (2012)، وذلك من خلال مَجموعة من الممارسات التي تقوم بها المؤسّسة الإسرائيليّة، كسياسة الإقصاء وإنكار الحقوق والاقتلاع والطرد والتشريد وهدم البيوت، ومنع تنفيذ حقّ العودة إلى بيوتهم ووطنهم وَفقًا لما أقرّته الشرعيّة الدوليّة. ولم تتوقّف حكومات إسرائيل المتعاقبة عن سياسة مصادرة الأراضي وهدم البيوت -على نحو ما يحدث في النقب والقدس ويافا وغيرها من المناطق الفلسطينيّة تحت مسمّياتَ مختلفة، واجِهتُها التطوير وباطِنُها التهويد.

الفلسطينيّون أقلّيّة وطن أصلانيّة

أقلّيّة الوطن (وتُعْرَف كذلك بـ "السكّان الأصلانيّين" أو "الشعوب الأصليّة") هي مجموعة من سكّان أرض ما بقوا في أرضهم رغم احتلالها من قِبَل قوة عسكريّة غازية أو إحلال شعب آخَر. أصبح السكّان الأصليّون أقلّيّة بسبب ممارسة المحتلّ، سواء أقام المحتلّ بتهجير أغلب السكّان الأصليّين وإحضار شعب جديد ليستوطن أرضهم، كما هي الحالة في فلسطين، أو لم يطرد أصحاب الأرض خارج الوطن وإنّما كان عدد المستوطنين الجدد أكبر من عدد السكّان الأصلانيّين الذين يُدفَع أغلبهم للعيش في مناطق نائية ومنزوية، كحالة الأبوريجين في أستراليا والهنود الحمر في أمريكا الشماليّة.

16. مصالحة، نور. "**الذاكرة الجماعيّة: المقاومة المحلّيّة والنضال من أجل العودة**"، مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 3، أيّار 2009، حيفا: مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة.

17. كذلك يُنظر في هذا الشأن: "**إسرائيل والنكبة**" -بديل- المركز الفلسطينيّ لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين. بيت لحم.

18. مصالحة، المصدر السابق.

في هذه الحالة، يفقد الأصلانيّون السلطة والسيادة على وطنهم، ولا يعود في مقدورهم إدارة وتصريف شؤون حياتهم وأمورهم المعيشيّة بأنفسهم، ويُضطرّون إلى العيش تحت سيادة وتسلّط المحتلّ وقوانينه، ويتعرّضون إلى سياسات التمييز العنصريّ والإقصاء، وتكون حقوقهم منقوصة -مقارَنةً بحقوق المحتلّين.

ما يميّز الأقلّـيّة الأصلانيّة أنّها "ذات مميّزات دينيّة وثقافيّة خاصّة، ترتبط فيمـا بينها بهياكل اجتماعيّة تقليديّة، ويرتبط أسلوب معيشتها بالمكان والأرض".[19]

تؤكّد الأمم المتّحدة على أهمّـيّة حماية حقوق الأقلّيّات الأصلانيّة وتوضّح أنّه "ينبغي للشعوب الأصليّة، في ممارستها لحقوقها، أن تتحرّر من التمييز أيًّا كان نوعه، وإذ يساورها القلق لِما عانته الشعوب الأصليّة من أشكال ظلم تاريخيّة، نجمت عن أمور عدّة منها استعمارها وسلب حيازتها لأراضيها وأقاليمها ومواردها، وبالتالي منعها بصفة خاصّة من ممارسة حقّها في التنمية وَفقًا لاحتياجاتها ومصالحها الخاصّة، وإذ تدرك الحاجة الملحّة إلى احترام وتعزيز الحقوق الطبيعيّة للشعوب الأصليّة المستمَدّة من هياكلها السياسيّـة والاقتصاديّة والاجتماعيّـة ومن ثقافاتها وتقاليدها الروحيّة وتاريخها وفلسفاتها، ولا سيّما حقوقها في أراضيها وأقاليمها ومواردها، وإذ تدرك كذلك الحاجة الملحّة إلى احترام وتعزيز حقوق الشعوب الأصليّة المكرّسة في المعاهدات والاتّفاقات وغيرها من الترتيبات البنّاءة المبرمة مع الدول، وإذ ترحّب بتنظيم الشعوب الأصليّة أنفسها من أجل تحسين أوضاعها على المستويات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة ومن أجل وضع حدّ لجميع أشكال التمييز والقمع حيثما وُجِدت، واقتناعًا منها بأنّ سيطرة الشعوب الأصليّة على التطوّرات التي تمسّها وتمَسّ أراضيها وأقاليمها ومواردها ستمكّنها من الحفاظ على مؤسّساتها وثقافاتها وتقاليدها وتعزيزها، ومن تعزيز تنميتها وَفقًا لتطلّعاتها واحتياجاتها.[20]

بناء على الدستور الديمقراطيّ، المواطنون العرب الفلسطينيّون في دولة إسرائيل هم أقلّـيّة وطن؛ وذلك أنّهم "يعيشون في وطنهم منذ القِدَم. هنا وُلدوا، وهنا تجذّرت وترعرعت أصولهم التاريخيّة، وهنا تطوّرت وازدهرت حياتهم القوميّة

19. الإعلان الأمميّ حول حقوق الشعوب الأصلانيّة – United Nations Declaration on the Right of Indigenous Peoples - صادقت عليه في 13.9.2007 الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة (في ما يلي: "الإعلان حول حقوق الشعوب الأصلانيّة"). مقتبَس لدى: أبو ربيعة، راوية (2011): http://www.dirasat-aclp.org/arabic/files/Rawia_Abu_Rabia_Kitab_Dirasat_2011.pdf

20. إعلان الأمم المتّحدة بشأن حقوق الشعوب الأصليّة على الرابط التالي:
http://www1.umn.edu/humanrts/arabic/UN-Declaration-Indigenous.html

والثقافيّة مساهمين فاعلين في تطوّر الحضارة والتاريخ الإنسانيّ كامتداد للأمّة العربيّة والحضارة الإسلاميّة وكجزء لا يتجزّأ من الشعب الفلسطينيّ.. ونظرًا لتغيُّر المكانة السياسيّة للمواطنين الفلسطينيّين، رغمًا عنهم، إلى أقلّيّة في موطنهم وما فتئوا منذئذٍ يتشبّثون بهُويّتهم القوميّة؛ ونظرًا لأنّ حقوق أقلّيّة وطن يجب أن تشمل، على سبيل المثال لا الحصر، تلك الحقوقَ التي كان يجب المحافظة عليها وعلى إمكانية تطويرها لولا تحوّلها إلى أقلّيّة في وطنها".[21] على سبيل المثال، "لكلّ أقلّيّة قوميّة الحقّ في مؤسّسات تعليمية وثقافيّة ولكلّ أقلّيّة دينيّة الحقّ في مؤسّساتها الدينيّة".[22]

"هذه الأقلّيّة هي ذات هُويّة قوميّة وثقافيّة ولغويّة تختلف عن هُويّة الأغلبيّة اليهوديّة المهيمنة في الدولة. ومن هذا المنطلق فإنّ الحقّ الجماعيّ للأقلّيّة العربيّة ينبع من هُويّتها وتاريخها وإرثها الثقافيّ. هذا الحقّ يرتبط مباشرة بالإرادة الجماعيّة للأقلّيّة العربيّة، كأقلّيّة قوميّة وأصلانيّة تبتغي أن تسيطر على جوانب مختلفة من حياتها الجماعيّة، وأن تصقل هُويّتها وتتحكّم بقيمها وعاداتها كما تشاء. وهذا الحقّ يستبق المواطَنة الإسرائيليّة، ولا يمكن تحديده في إطارها فحسب".[23]

الحكم العسكريّ

مع الاعلان عن قيام دولة إسرائيل في عام 1948، "قرّر "مجلس الدولة المؤقّت" فرْضَ سيادة خاصّة تُعرف بـ "الحكم العسكريّ" على مَن تبقّى من الفلسطينيّين سواء في قراهم ومدنهم أو هُجِّروا منها إلى مواقع أخرى ضمن حدود دولة إسرائيل. تمّ فرض الحكم العسكريّ في الجليل والمثلّث ومدن الرملة واللّد ويافا ومجدل عسقلان- وهي المناطق التي كانت مأهولة عند انتهاء المعارك بأغلبيّة من العرب".[24] امتدّ الحكم العسكريّ من 1949 حتّى 1966 على القرى والمدن العربيّة "التي أعلن عنها "مناطق عسكريّة مغلقة" لمنع لاجئي الداخل من العودة إلى بيوتهم وأراضيهم. وساهم الجيش الإسرائيليّ والقيرن قييمت على ضمان منع عودة لاجئي الداخل من العودة إلى بيوتهم وأراضيهم".[25]

كان المسؤولَ عن تطبيق نظام الحكم العسكريّ ضابطٌ في الجيش الإسرائيليّ النظاميّ، وخضع مباشرة لرئيس الأركان ووزارة الأمن. استندت المرجعيّة القانونيّة للحكم العسكريّ على أنظمة الدفاع الانتدابيّة لحالة الطوارئ من العام 1945.

21. الدستور الديمقراطيّ، 2007. حيفا: عدالة. ص 4-5.
22. المصدر السابق، ص 8.
23. جمّال، أمل (2005). "مدخل". في أمل جمال (محرّر). **الحقوق الجماعيّة والدولة القوميّة**. حيفا: مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة. ص 14.
24. بويمل، يئير. الحكم العسكريّ- أوراق معلوماتيّة، مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 1، كانون الثاني 2009. حيفا: مدى الكرمل.
25. مصالحة، مصدر سابق.

وَفق هذه الأنظمة، بإمكان الحاكم العسكريّ منع دخول المواطنين إلى مناطق أعلن عنها مناطق مغلقة.[26] "كما فُرضت الرقابة الأمنيّة على الأقلّيّة العربيّة في إسرائيل، وجرى إلغاء حرّيّاتهم الديمقراطيّة والتي تمحورت في التضييق على حرّيّة التنقّل أو منعها، والمقصودُ بهذا التنقّلُ من منطقة إلى أخرى، أو بين القرى المختلفة، والوصول إلى الحقول الزراعيّة، وكذلك التضييق على حرّيّة العمل، وحرّيّة الوصول إلى مراكز التشغيل والصحّة والتعليم والتجارة والتسوّق، وحرّيّة التنظّم الجماهيريّ والسياسيّ، والحرّيّة الاقتصاديّة، والحرّيّة في مناهج التعليم، والحرّيّة في كلّ نشاط مستقلّ آخر للمواطنين العرب. خضع المواطن العربيّ خضوعًا فعليًّا لنظام صارم من التصاريح"؛[27] فكلّ من رغب في القيام بنشاطات معيّنة خارج منطقة سكناه وجب عليه الحصول على تصريح من الحكم العسكريّ.

وخلال فترة الحكم العسكريّ، وقعت مجزرة رهيبة في تاريخ الفلسطينيّين في الداخل ، تُعرف بـ "مجزرة كفر قاسم" (في مَوضعٍ لاحق في هذه الكَرّاسة تعريف بهذه المجزرة).

حقّ تقرير المصير والحكم الذاتيّ

"حقّ تقرير المصير" من الإنجليزيّة:(Right of self-determination): هو مصطلح في مجال السياسة الدوليّة والعلوم السياسيّة يشير إلى حقّ كلّ مجتمع ذي هُويّة جماعيّة متميّزة، مثل شعب أو مجموعة عرقيّة وغيرهما، بتحديد طموحاته السياسيّة وتبنّي النطاق السياسيّ المفضَّل عليه من أجل تحقيق هذه الطموحات وإدارة حياة المجتمع اليوميّة، وهذا دون تدخُّل خارجيّ أو قهر من قبل شعوب أو منظّمات أجنبيّة".[28]

"يُعتبر حقّ الشعوب في تقرير المصير جزءًا من القانون الدوليّ التقليديّ العرفيّ. وهناك من الباحثين مَن يَعتبر هذا الحقَّ بمثابة مبدأ أساس لا يجوز خرقه. كان الظهور الدوليّ الأبرز لهذا المبدأ في عام 1919 في اتّفاقيّة فرساي بعد الحرب العالميّة الأولى. يُقصد فيه حقّ الشعوب المستعمَرة في التخلّص من استعباد مستعمِريها وحقّ المجموعات المضطهَدة في مواجهة الدولة القامعة. ورد ذكْر هذا الحقّ في المادّتين الأولى والخامسة والخمسين من ميثاق الأمم المتّحدة (حزيران 1945)، كمبدأ ينبغي على الدول احترامه. وكذلك ورد ذكْره في العهد الدوليّ الخاصّ بالحقوق المدنيّة والسياسيّة عام 1966 والعهد الدوليّ الخاصّ بالحقوق

26. بويمل، مصدر سابق.
27. بويمل، مصدر سابق.
28. عن ويكيبيديا - الموسوعة الحرّة.

الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة من العام 1966".[29] "تجسيد هذا الحقّ يستطيع، تقليديًّا، أن يأخذ ثلاثة أشكال رئيسيّة مختلفة: تأسيس دولة مستقلّة ذات سيادة، أو الارتباط بدولة مستقلّة بصورة حرّة في وحدة سياسيّة ما، أو أيّ شكل آخر يختاره الشعب المعنيّ".[30]

ليس هناك تعريف قانونيّ للحكم الذاتيّ متّفَق عليه في القانون الدوليّ، ولكن في المعتاد يعرَّف "بأنّه نظام قانونيّ تُمنح وَفقًا له مجموعةٌ متميّزة من الأفراد صلاحيّاتِ إدارةٍ ذاتيّة في مجالات محدّدة ضمن البنْية الدستوريّة القائمة للدولة المعنيّة. تمييز المجموعة يمكن أن يجري بعدّة مقاييس، كاللغة أو الانتماء الإثنيّ وبشكل شخصيّ أو وَفقًا لرقعة الأرض. الصلاحيّات التي تُمنح للمجموعات ضمن هذا الإطار يمكن أن تشمل التعليم والدين واستعمال الأرض والضرائب وقوانين العائلة والمؤسّسات الثقافيّة والسلطات المحلّيّة، غير أنّها لا تشمل السياسة الخارجيّة والأمن والسياسة الاقتصاديّة العامّة".[31]

قرار تقسيم فلسطين (رقم 181)

هو القرار حامل الرقم "181" الصادر عن الأمم المتّحدة في 29.11.1947، والقاضي بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة كيانات سياسيّة: الأوّل دولة لليهود، والثاني دولة عربيّة، والثالث يضمّ مدينتَي القدس وبيت لحم تحت سيادة دوليّة. بموجبه يحصل اليهود على ٪55 من مساحة فلسطين التاريخيّة ليقيموا دولتهم عليها، في حين أنّهم لم يملكوا سوى ٪7 من أراضي فلسطين.

أمّا الفلسطينيّون، أصحاب البلاد الأصليّون وغالبيّة السكّان حتّى ذلك الحين، فلم يخصِّص قرارُ التقسيم لهم سوى ٪45 من أراضي البلاد، وتقرّر أن تكون منطقة القدس دوليّة، رغم أنّ عرب فلسطين شكّلوا غالبيّة أهالي البلاد، فأكثر من ثلثَيْ سكّان فلسطين آنذاك كانوا عربًا (1.3 مليون) وأقلّ من الثلث (630 ألفًا) كانوا من اليهود. واتّخذت هيئة الأمم المتّحدة قرار التقسيم بغالبيّة الأعضاء فيها دون موافقة سكّان فلسطين الأصلانيّين. لقد كان لهذا القرار تَبِعات وآثار قاسية جدًّا حيث "قطع أوصال الشعب الفلسطينيّ وجعل نحو نصف مليون من أفراده أقلّيّة في الدولة اليهوديّة. لذا، لم يكن من الغريب قَطّ أن يقابَل هذا القرار بمعارضة الفلسطينيّين بخاصّة، والعرب بعامّة. وفي المقابل، إنّ قرار الأمم المتّحدة لقي ترحيبًا كبيرًا في أوساط الييشوف اليهوديّ لأنّه سمح بإقامة دولة إسرائيل على

29. سلطاني، نمر (2007). "حقّ تقرير المصير في القانون الدوليّ: نبذة مختصرة". قراءات مرافقة لوثيقة حيفا. حيفا: مدى الكرمل. ص 2.
30. سلطاني، مصدر سابق، ص 4.
31. سلطاني، مصدر سابق، ص 6.

أنقاض وطن الفلسطينيّين وخراب بيوتهم".[32]

وتاريخيًّا، من المعروف أنّه، منذ ظهور الحركة الصهيونيّة في نهاية القرن التاسع عشر، طُرحت عدّة مشاريع لتقسيم فلسطين. فقد خُطّط التقسيم الأوّل في معاهدة سايكس-بيكو عام 1916 بين القوّتين الاستعماريّتين: بريطانيا وفرنسا. وفي العام التالي، أُطلِق تصريح بلفور الذي مُنح بموجبه "بيت قوميّ لليهود" لم تُحدَّد معالمه الجغرافيّة، رغم أنّ عدد اليهود آنذاك لم يتعدَّ الـ 7٪ من سكّان فلسطين. "وبعد عامين (1919) أعلنت الحركة الصهيونيّة في مؤتمر باريس عن نواياها في تطبيق وعد بلفور، بإقامة دولة تتجاوز حدودها فلسطين التاريخيّة لتشمل أراضي شرق الأردن والجنوب السوريّ، وتمتدّ بين نهر الليطاني في الشمال ومدينة العريش في الجنوب. وتُعتبر توصيات لجنة بيل[33] أوّلَ المقترحات لتقسيم فلسطين التاريخيّة إلى كيانين عربيّ ويهوديّ، مناصَفةً، ولبقاء القدس تحت سيطرة الانتداب البريطانيّ".[34]

قرار 194 وحقّ العودة

أصدرت الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة في 11/12/1948 قرارها ذا الرقم 194 والذي يقضي بـ "وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للّاجئين الراغبين في العودة إلى بيوتهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقرّرون عدم العودة إلى بيوتهم، وعن كلّ مفقود أو مصاب بضرر عندما يكون من الواجب وَفقًا لمبادئ القانون أن يعوّض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة".[35] وتعني هذه الفقرة من القرار أنّ الجمعيّة العامّة قرّرت أنّ عودة اللاجئين الفلسطينيّين إلى بيوتهم وممتلكاتهم هي حقّ لهم واجب التنفيذ، وأنّ عودتهم تتوقّف على اختيارهم الحرّ هم وحدهم. وقد نصّ القرار كذلك على إقامة لجنة توفيق تابعة للأمم المتّحدة تكون مهمّتها "تسهيل إعادة اللاجئين إلى وطنهم وتوطينهم من جديد وإعادة تأهيلهم الاقتصاديّ والاجتماعيّ وكذلك دفع التعويضات لهم". لكن إسرائيل لم تقم بتنفيذ القرار

32. منّاع، عادل. "قرار تقسيم فلسطين عام 1947". إعادة التفكير في تقسيم فلسطين. مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 10، حزيران 2011. حيفا: مدى الكرمل.

33. لجنة بيل (التي تُعرف بـ "اللجنة الملكيّة" وشُكِّلت في أعقاب الثورة الفلسطينيّة عام 1936، قدّمت توصياتها في تموز 1937 مقترحة للمرّة الأولى تقسيم فلسطين بصورة فعليّة بحيث تقام دولتان يهوديّة، وأخرى تتّحد مع إمارة شرقيّ الأردنّ لتكون دولة عربيّة، ومنطقة تبقى تحت السيادة البريطانيّة تضمّ القدس وبيت لحم والناصرة. في شأن هذه اللجنة وقرار التّقسيم، يمكن الاطّلاع بتوسّع في: نويهض الحوت، بيان (1986، ط3). **القيادات والمؤسّسات السياسيّة في فلسطين 1917-1948**. بيروت: دار الهدى (استيراد وتوزيع). ص 359- 365.

34. أبو راس، ثابت. بدائل التقسيم: الأبعاد الجغرافيّة السياسيّة. إعادة التفكير في تقسيم فلسطين- مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 10، حزيران 2011. حيفا: مدى الكرمل.

35. قرارات الأمم المتّحدة المتعلّقة بفلسطين تجدونها على الموقع التالي:
http://www.bahethcenter.net/A.W/oldsite/malafat/UN/index.htm

حتّى يومنا هذا (2012). كانت الأمم المتّحدة تجدّد قلقها حول عدم تنفيذ القرار كلّ سنة تقريبًا ولكنّها لم تتّخذ أيّ خطوات عمليّة لتنفيذه. كان تعامل القرار 194 مع قضيّة اللاجئين كقضيّة إنسانيّة فقط. لكن هذا التوجّه تغيّر في عام 1970. ففي قرار الأمم المتّحدة ذي الرقم 2649 الصادر في 30/11/1970، اتّجهت الأمم المتّحدة إلى معالجة مشكلة الفلسطينيّين كمشكلة لاجئين ولكن أيضًا، ولأوّل مرّة، تعاملت معه كشعب له حقّ قانونيّ ثابت في تقرير مصيره، فجاء في عنوان القرار: "إدانة إنكار حقّ تقرير المصير خصوصًا لشعوب جنوب إفريقيا وفلسطين". واعترفت الجمعيّة العامّة بقرارها رقم 2672 "لشعب فلسطين" (وليس للاّجئين الفلسطينيّين) بحقّ تقرير المصير. وطلبت مرّة أخرى من إسرائيل اتّخاذ خطوات فوريّة لإعادة المشرّدين.

حركة الأرض

حركة سياسيّة قوميّة عربيّة أُسِّست في نيسان عام 1959. نشأت الحركة بدعوة ومبادرة من التيّار القوميّ بين الفلسطينيّن في إسرائيل. وتبنّت الحركة اسم "الأرض" للدلالة على ارتباط الفلسطينيّين بأرضهم ووطنهم. وقد دعت الحركة إلى إيجاد حلّ عادل للقضيّة الفلسطينيّة عبر رؤية فلسطين كلاً غير قابل للتجزئة وبناء على رغبات الشعب العربيّ الفلسطينيّ. وقد صدر عن الاجتماع التأسيسي بيان يطالب إسرائيل بالاعتراف بأنّ الحركة القوميّة العربيّة هي الحركة الحاسمة في المنطقة، وأنّ على إسرائيل أن تقطع كلّ صلة بينها وبين الحركة الصهيونيّة، وطالب البيان بعودة اللاجئين إلى أراضيهم وأملاكهم. وكان ردّ فعل السلطات الإسرائيليّة رفض منح الحركة تصريحًا لإصدار جريدة، فأصدرت الحركة نشرات تحت أسماء متبدّلة، بحيث اتّخذت كلّ نشرة اسمًا مختلفًا، دون الحاجة إلى استصدار رخصة من قبل وزير الداخليّة. بعد العدد السادس، اعتبرت السلطات الإسرائيليّة أن "الأرض" هي حركة تشكّل خطرًا على أمن الدولة. وقدّمت مصْدري الجريدة إلى المحاكمة. وفي عام 1964، أعدّت الحركة مذكّرة مطوّلة عن أوضاع العرب في إسرائيل، وبعثت نُسَخًا منها إلى الأمين العام للأمم المتّحدة، وإلى صحف عالميّة وشخصيّات دوليّة معروفة. وتمكّنت الحركة من إقامة 15 ناديًا ثقافيًّا في القرى العربيّة. رفضت السلطات تسجيلها كجمعيّة ومن ثَمّ كحزب سياسيّ، واعتبرت أنّ الحركة تمسّ بكيان الدولة وسلامتها، وقرّر وزير الأمن بموجب السلطة الممنوحة له على أساس أنظمة الطوارئ اعتبارها خارجة على القانون.[36]

36. عن حركة الأرض يُنظر في قهوجي، حبيب (1978). **القصّة الكاملة لحركة الأرض**. القدس: منشورات العربيّ؛ كتاب: جريس، صبري (1973). العرب في إسرائيل. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.

لجنة الدفاع عن الأراضي

بادر عدد من الناشطين السياسيّن والمثقفين العرب، في أعقاب الإعلان عن خطّة "تهويد الجليل" إلى عَقد اجتماع تشاوريّ في 12.5.1975 في حيفا. خرج هذا الاجتماع بدعوة عدد كبير من رؤساء السلطات المحلّـيّة العربيّة، ومهنيّين من مجالات مختلفة وناشطين سياسيّين وصحفيّين وأدباء إلى عَقد لقاء للتحضير لاجتماع موسَّع لبلورة ردّ فعل وموقف عربيّ جماعيّ ووضع أُسُس عمليّة للاحتجاج. وعُقد اجتماع تشاوريّ آخر في 19.7.1975، نتج عنه إنشاء "لجنة مبادرة للدفاع عن الأراضي". وأُعلن في اجتماع لاحق عن تأسيس "اللجنة القطريّة للدفاع عن الأراضي" التي ضمّت 121 عضوًا من كلّ التيّارات والأطر السياسيّة والفكريّة ومن كلّ مناطق الوطن (المثلّث والجليل والنقب)، والعديد من رؤساء السلطات المحلّـيّة العربيّة، إضافة إلى سكرتارية عامّة. في هذا الاجتماع، قُرّر إنشاء لجان محلّـيّة للدفاع عن الأراضي، في العديد من القرى العربيّة في الجليل والمثلّث والنقب، وعُقدت اجتماعات ومهرجانات ترمي إلى زيادة الوعي بين السكّان العرب حول التهديد القائم خلف مسلسل المصادرات، وتعديل قانون ضريبة الأملاك، وإنشاء مستوطنات بجوار القرى العربيّة والمدن العربيّة. واتّخذ المبادرون والمساهمون في اللجنة وسائر اللجان الشعبيّة قرارًا بعقد مؤتمر شعبيّ واسع في مدينة الناصرة. وبعد مناقشات تفصيليّة في هذا المؤتمر، جرى التوصّل إلى بعض القرارات التي عكست مبادئَ وطموحاتٍ ومَطالبَ بالغةَ الأهمّـيّة للسكّان العرب في البلاد.[37]

عَقدت لجنة الدفاع عن الأراضي اجتماعات جماهيريّة كثيرة في القرى والمدن العربيّة، وأصدرت العديد من الكَرّاسات والبيانات تشرح فيها خطورة مصادرة الأراضي ومشاريع الاستيطان في الجليل والمثلّث والنقب على مستقبل السكّان العرب في البلاد، وأقامت لجانًا محلّـيّة عديدة للدفاع عن الأراضي في البلدات العربيّة قبل يوم الأرض في العام 1976، وهو ما ساهم بشكل ناجع عظيم في نجاح الإضراب العامّ الذي دعت إليه اللجنة وفي رفع مستوى الوعي الجماهيريّ وتسييس القضايا اليوميّة للسكّان العرب في البلاد وتوقّف عمل ونشاط اللجنة المذكورة في 1992-1993.[38]

37. المعلومات بالاعتماد على الكتابين التاليين: بشير، نبيه (2006). **يوم الأرض: ما بين القوميّ والمدنيّ- سيرورة وتحوّل**. حيفا: مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة. ص 64-62؛ اللجنة القطريّة للدفاع عن الأراضي العربيّة في إسرائيل (1976). **الكتاب الأسود عن يوم الأرض 30 آذار 1976**. الناصرة: اللجنة القطريّة للدفاع عن الأراضي العربيّة في إسرائيل.

38. بشير، مصدر سابق.

يوم الأرض

يوم الأرض (الذي يجري إحياؤه سنويًا) هو عمليًا يوم الانتفاضة الوطنيّة التي انطلقت في الـ 30 من آذار عام 1976 على شكل إضراب شامل أعلنت عنه اللجنة القطريّة للدفاع عن الأراضي، أتْبَعتْه بمظاهرات شعبيّة في جميع القرى والمدن العربيّة، احتجاجًا على موجة مصادرة أراضٍ جديدة أقرّتها حكومة إسرائيل، واستهدفت مساحة 21 ألف دونم من الأراضي في المنطقة المسمّاة "منطقة المَلّ" من البلدات سخنين وعرّابة ودير حنّا المعروفة بـ "منطقة 9". وجاءت المصادَرة استمرارًا لسياسة وخطّة تهويد الجليل الذي انعكس في وثيقة كينيغ من خلال مصادرة الأراضي من أصحابها العرب لصالح تجمّعات يهوديّة.[39]

حاولت السلطة منع حدوث هذا الإضراب وكسره عن طريق التهديد بقمع المظاهرات والعقاب الجماعيّ.

سقط ستّة شهداء في المواجهات مع الشرطة، بالإضافة إلى نحو 50 جريحًا وَ 300 معتقلاً. أصبح هذا التاريخ يومًا وطنيًا للاحتجاج وإحياء الذكرى.[40] يجري إحياؤه سنويًا داخل فلسطين، في مخيّمات اللاجئين الفلسطينيّين، كما في المجتمعات الفلسطينيّة الأخرى في العالم العربيّ وفي كلّ مواقع انتشار الفلسطينيّين والعرب في عالم الشتات. يشكّل هذا الحدث مَفْصلاً مركزيًا ومحورًا أساسيًا في تطوّر الوعي الجماعيّ لدى المجتمع الفلسطينيّ.. حيث "يبرز الوعي الجماهيريّ لمخاطر السياسات الإسرائيليّة، الرامية إلى تقزيم الوجود العربيّ.. وتتجلّى أهمّيّته سياسيًا في كونه انعكاسًا لإرادة جماعيّة للعرب في البلاد، جاء ابتغاء التصدّي لمحاولة دولة إسرائيل سلخهم عن أرضهم".[41]

منذ ذلك الحين، أصبح مفهوم "يوم الأرض" رمزًا للنضال الفلسطينيّ ضدّ المخطّطات والسياسات والممارسات الإسرائيليّة لتطهير المجتمعات الفلسطينيّة عرقيًا عن أرض أجدادها، ولتصميمها على البقاء راسخة، في وقت تواجه فيه التطبيق التدريجيّ للمشروع الاستعماريّ الصهيونيّ.

القرى غير المعترف بها

هي تجمّعات سكنيّة عربيّة فلسطينيّة، غالبيّتها في منطقة النقب، كان معظمها قائمًا قبل قيام إسرائيل في العام 1948. وبالرغم من أقدميّتها التاريخيّة، فإنّ حكومة إسرائيل لا تعترف بها رسميًا، وهي بهذا تحرمها من أهمّ الحقوق الإنسانيّة

39. الكتاب الأسود، مصدر سابق.
40. الموسوعة الفلسطينيّة العامّة، مجلّد 4. هيئة الموسوعة الفلسطينيّة، بيروت. 1984.
41. بشير، مصدر سابق.

(كالخدمات ومشاريع التطوير)، وتعتبر أهلها خارجين عن القانون، بل مخالفين له.

بالرغم من أنّ هذه القرى كانت قائمة قبل قيام الدولة بعشرات السنين، تجاهلت الحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة وجودها، وسلبت سكّانها حقوقهم كمواطنين في الدولة. ومنذ ذلك الحين، لا تظهر هذه القرى على الخريطة، وما زالت حتّى اليوم تعاني من نقص شديد في التطوير والتخطيط. "في النقب توجد اليوم 46 قرية اعترفت الدولة بـ 10 فقط وبعضها بشكل جزئيّ".[42] يعيش في هذه القرى اليوم نحو 90 ألفًا منهم، بينما يعيش الباقون في البلدات السبع التي أقيمت بعد انتهاء الحكم العسكريّ.[43] وقد أدّى عدم الاعتراف بهذه القرى إلى انعدام البنى التحتيّة الأساسيّة، فاليوم هناك ما ينيف عن 100,000 مواطن سُلبت منهم شروط الحياة الأساسية (نحو: المياه؛ الكهرباء؛ الخدمات الصحّيّة والتعليميّة والتثقيفيّة والترفيهيّة؛ المأوى؛ طرق المواصلات). رافق ذلك انتهاكاتٌ صارخة لحقوق الإنسان بما يتناقض مع القيم الديمقراطيّة في الدول العصريّة .لقد شوّش هذا الواقع حياةَ المواطنين ووضع أمامهم العراقيل التي حالت دون إدارة شؤونهم على نحو طبيعيّ وَفقًا للمعايير الإنسانيّة الأساسيّة.[44] يعيش اليوم نحو 50٪ من البدو في القرى غير المعترف بها، وبخاصّة في النقب، وإضافة لكون الدولة لا تعترف بحقوقهم على الأرض. فإنّها تقوم بتجريمهم على أنّهم "غزاة" وَ "متجاوزون" يستولون على أراضي الدولة. في عدد من المخطّطات الهيكليّة الرئيسيّة، لا تظهر القرى البدويّة "غير المعترف بها" بتاتًا، وكأنّها لا وجود لها، أو يُشار إلى مواقعها كأنّها مُعَدّة للاستخدام العامّ (نحو: شبكات المجاري، أو المتنزّهات العامّة، أو المناطق الصناعيّة).

أقامت الحكومة الإسرائيليّة "الدوريّة الخضراء" في العام 1976 كوحدة شبه عسكريّة من أجل الضغط على البدو للانتقال إلى البلدات المدينيّة ابتغاءَ السيطرة على أراضيهم. وتقوم هذه الدوريّة بمراقبة ومضايقة وإجلاء سكّان القرى غير المعترف بها ومصادرة القطعان التابعة لهم. إضافة إلى ذلك، إنّ نهجها يتضمّن تدمير المحاصيل الزراعيّة والأشجار والمنازل البدويّة التي تعتبرها السلطات الإسرائيليّة "غير قانونيّة". ويُطلِق البدو على هذه الدوريّة اسم "الدوريّة السوداء".[45]

42. القرى غير المعترف بها. المركز العربيّ للتخطيط البديل (كانون الثاني 2009).
http://www.ac-ap.org/image/users/194916/ftp/my_files/municipality2011AR.swf?id=9434020

43. أبو ربيعة، راوية. "القرى العربيّة في النقب بين سياسات الدولة التمييزيّة والنضال من أجل الاعتراف". **كتاب دراسات**. الناصرة: دراسات- المركز العربيّ للحقوق والسياسات. ع 4، نوفمبر 2011. ص 26-18.
(http://www.dirasat-aclp.org/arabic/files/Yousef_Jabareen_Kitab_Dirasat_2011.pdf)

44. عن موقع لجنة الأربعين.

45. Abu-Saad, I. (2005b). **Re-telling the history: The indigenous Palestinian Bedouin in Israel**. *AlterNative: An international journal of indigenous scholarship 1*(1), pp. 26-49.

تقوم إسرائيل بتهجير وطرد أهالي هذه القرى بصورة منهجيّة كما يحدث في النقب، سواء أكان ذلك من خلال محاولة تجميعهم في مجمّعات سكّانيّة مدنيّة لا تلائم أسلوب حياتهم وحاجيّاتهم المعيشيّة، أو من خلال منعهم من العيش في المناطق التي يسكنونها. ومن أبرز الأمثلة في السنوات الأخيرة التهجيرُ والهدم المستمرّ لقرية العراقيب؛ إذ هُدمت القرية أكثر من عشرين مرّة حتّى كتابة هذه الكَرّاسة (آذار 2012)، فضلاً عن مخطّطات ترمي إلى تشريع "قانون توطين البدو في النقب" كمخطّط خطة برافر،[46] "حيث يُعتبر قرار الخطّة بمثابة إعلان حرب ضدّ البدو وسوف تعمّق المسّ بحقوق المواطنين البدو، وذلك بدلاً من تحقيق العدالة معهم وإصلاح الغبن التاريخيّ بحقهم".[47]

المهجّرون واللاجئون في الداخل ومكانتهم القانونيّة

نتج عن النكبة التي حلّت بالشعب الفلسطينيّ مشكلة اللاجئين خارج الوطن وداخله. فمهجَّرو الداخل هم الذين هُجّروا عن قراهم ولجأوا إلى قرى لم تُهدم أو لم يرحَّل سكّانها، وكانت قريبة من القرى الأصل. وهناك قرابة ربع مليون فلسطينيّ تنطبق عليهم التسمية "مهجّرو الداخل". أمّا حكومة إسرائيل، فقد عرّفتهم بصيغة قانونيّة بكونهم "حاضرين غائبين" وَفقًا لقانون أملاك الغائبين من العام 1950. وكان الهدف من هذا القانون تجريدهم من حقوقهم في ملكيّاتهم للعقارات والأراضي لأنّهم لم يكونوا حاضرين في قراهم في فترة زمنيّة جرى فيها إحصاء الاملاك وأصحابها. مع العلم أنّ نفس الحكومة منحتهم هُويّات وجنسيّات وتعاملت معهم كمواطنين في حدودها.

ويعود أصل غالبيّة مهجّري الداخل إلى 44 قرية في شمال البلاد دمّرها الجيش الإسرائيليّ في العام 1948. وثمّة مجموعة أخرى من مهجَّري الداخل أقلّ عددًا، تتألّف ممّن اقتُلعوا من بيوتهم بعد عام 1948 خلال عمليّات ترانسفير وتهجير داخليّين، ومصادرة أراضيهم وهدم بيوتهم، معظمهم من البدو الفلسطينيّين من سكّان النقب".[48] أمّا الباقون فهُجّروا خلال السنوات الأولى بعد النكبة، كما حدث مع القريتين إقرث وبرعم، اللتين هُجّر أهاليهما بعد قيام الدولة؛ وذلك

46. مخطّط برافر هو عبارة عن خطّة "تسوية أوضاع الاستيطان البدويّ في النقب" كما أسمتها الحكومة، اقترحتها لجنة "برافر" التي كُلّفت بتقديم خطّة لتطبيق توصيات لجنة "غولدبرغ" التي رفضها السكّان العرب في النقب في السابق. وقد أدخل يعكوف عميدرور، رئيس مجلس الأمن القوميّ الإسرائيليّ، تعديلات على الخطّة قبل عرضها على الحكومة بأسبوع. ومن تداعيات الخطّة أنّها ستؤدّي إلى ترحيل 30 ألف مواطن عربيّ من أرضهم وتجميعهم في مجمّعات التركيز السكانيّ القائمة (أي بلدات، نحو: حورة وكسيفة وقرى مجلس أبو بسمة)، ومصادرة نحو مليون دونم (سيتبقّى للعرب 90 ألف دونم فقط). للتوسّع حول الموضوع، يُنظر: أبو راس، ثابت؛ ويفتحئيل، أورن. "خطّة البلدات الجديدة؟ أربعة أسباب لرفض خطّة برافر". مجلّة عدالة الإلكترونيّة، ع 89، كانون الثاني 2102. حيفا: عدالة.

47. من تصريحات ثابت أبو راس، مدير مشروع "عدالة" في النقب- بيان للصحافة، 5 أيلول 2011. حيفا: عدالة.

48. مصالحة، نور. "الذاكرة الجماعيّة، المقاومة المحلّيّة والنضال من أجل العودة: الفلسطينيّون في إسرائيل، ستّة عقود بعد النكبة". مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 3، أيّار 2009. حيفا: مدى الكرمل.

لأسباب أمنيّة بحسب ادّعاء الدولة -وقد جرى ذاك بموجب أوامر عسكريّة-. ووعدهم القائد العسكريّ بالعودة بعد أن تستقرّ الحالة الأمنيّة. ولقد رفع أهالي القريتين المذكورتين التماسًا إلى المحكمة العليا في إسرائيل، التي أصدرت قرارًا بعودتهم، إلاّ أنّ حكومات إسرائيل المتعاقبة رفضت تنفيذ قرار المحكمة إلى يومنا هذا (2012). استعملت إسرائيل قوانين مختلفة لتمنع عودة المهجّرين إلى بيوتهم وقراهم، ولمنع إعادة أملاكهم المصادرة إليهم. ومن هذه القوانين "قانون أملاك الغائبين" لعام 1950 الذي جرت بموجبه السيطرة على أملاك اللاجئين من قِبَل "القيّم على أملاك الغائبين" الذي يمتلك الصلاحيّة في التصرّف بأملاكهم كمالك لها وَفق قانون "أملاك الغائبين"، وبهذا حُظرت كلّ إمكانيّة لهم من العودة.[49] "في الفترة الواقعة بين العام 1948 والتسعينيّات، سَنَّ الكنيست الإسرائيليّ نحو 30 قانونًا لنقل الأراضي من الملْكيّة الشخصيّة للعرب إلى ملْكيّة الدولة (أي إلى ملْكيّة يهوديّة)".[50]

يسكن غالبيّة لاجئي الداخل على بُعد بضعة كيلومترات من قراهم الأصليّة التي هُجّروا منها. على سبيل المثال: أهالي عمقا والكويكات الذين يسكنون في كفرياسيف؛ أهالي كفر عنان الذين لجأوا إلى الرامة؛ أهالي صفورية والمجيدل ومعلول الذين لجأوا إلى الناصرة وصودرت أرضهم، والأمثلة كثيرة. وشَكّل مهجَّرو الداخل جمعيّة الدفاع عن المهجّرين في عام 1992.

يمثّل قطاع اللاجئين والمهجّرين الفلسطينيّين اليوم حالة التهجير القسريّ الأكبر حجمًا من حيث العدد، والأطول زمنيًّا على مستوى العالم. في بداية عام 2007، بلغ عدد اللاجئين والمهجَّرين الفلسطينيّين أكثر من 7 ملايين لاجئ ومهجّر فلسطينيّ.[51]

مجزرة كفر قاسم

شهد التاريخ الفلسطينيّ وما زال عددًا من المجازر التي اقترفتها المنظّمات اليهوديّة ومن ثَمّ جيش إسرائيل ووحدات حرس الحدود ضدّ أبناء الشعب العربيّ الفلسطينيّ، ومن

49. بديل (2003). **العودة إلى ديارهم- الحلّ العادل والدائم لقضيّة اللاجئين الفلسطينيّين**. بيت لحم: بديل- المركز الفلسطينيّ لمصادر حقوق المواطَنة واللاجئين.
يُنظر أيضًا: مصالحة، نور الدين (2003). **إسرائيل وسياسة النفي -الصهيونيّة واللاجئون الفلسطينيّون**. رام اللّه: مدار- المركز الفسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة.
صبّاغ- خوري، أريج (2011). "**المهجّرون الفلسطينيّون في إسرائيل**". في نديم، روحانا؛ وأريج، صبّاغ-خوري (محرّران). المهجّرون الفلسطينيّون في إسرائيل. حيفا: مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة. ص 27-46.
50. مصالحة، 2009. مصدر سابق.
51. اللاجئون والمهجرون الفلسطينيون: خلفية عامة- لمحة تاريخية. موقع بديل- المركز الفلسطينيّ لمصادر حقوق المواطَنة واللاجئين. بيت لحم: http://www.badil.org/ar/historical-overview

أبشع هذه المجازر "مجزرة دير ياسين" في نيسان 1948، ومجازر الطنطورة والصفصاف والدوايمة وغيرها، ومذابح صبرا وشاتيلا عام 1982، ولاحقًا هبّة الاقصى- أحداث أكتوبر 2000 ومذبحة جنين 2002.

أمّا "مجزرة كفر قاسم"، فوقعت في 29/10/1956 أثناء الحكم العسكريّ، وصادف في الوقت ذاته اليوم الأوّل للعدوان الثلاثيّ على مصر. وتفاصيل وقوع المجزرة أنّ قيادة الجيش الإسرائيليّ فرضت على قرية كفر قاسم وقرى أخرى حظر تجوّل، ولم يُبلَّغ مختار القرية بهذا الحظر إلاّ قبل تطبيق الأمر بنصف ساعة. وقد بَلّغ المختارُ الضابطَ المسؤول بأنّ مئات الأهالي يعملون خارج القرية، وأنّهم سيعودون بعد الساعة الخامسة مساء، ساعة البدء بحظر التجوّل. أمّا الضابط المكلّف بتطبيق الحظر فطمأن المختار. "بأن الجيش سوف يهتمّ بأمرهم". في المقابل، أصدر القائد الميدانيّ للجيش تعليماته بإطلاق النار على كلّ من يشاهَد خارج بيته في القرية بعد الساعة الخامسة، وإن كانوا من العائدين من عملهم ممّن لا علم بهم بفرض حظر التجوّل. وبالفعل هذا ما حدث، عندما عادت مجموعة من أهالي القرية، وبينهم عمّال ونساء، وقد تجاوزت الساعة الخامسة مساء، جرى تجميعهم في مدخل القرية وأُطلقت النيران عليهم بدم بارد، فسقط 49 شهيدًا من أهالي قرية كفر قاسم.

ما يميّز هذه المجزرةَ أنّ أحداثها وتفاصيلها موثّقة كذلك في التاريخ الإسرائيليّ. وقد قامت الحكومة (برئاسة دافيد بن غوريون) بمحاولة للتعتيم على المجزرة ومنع تسرُّب أخبارها للرأي العامّ المحلّيّ والعالميّ، بَيْدَ أنّ عضوَي الكنيست توفيق طوبي ومئير فيلنر وقيادات يهوديّة معارِضة (أبرزهم لطيف دوري وأوري أفنيري) قاموا بفضح الأمر.

اضطُرّت الحكومة أن تشكّل لجنة تحقيق، وقُدِّم المسؤولون من العسكر إلى المحاكمة، إلاّ أنّ المحكمة التي أصدرت أحكامًا بالسجن لسنوات على بعض منهم قامت بالعفو عنهم. وأمّا الضابط المسؤول مباشرة عن الجريمة، فقد غُرّم بقرش واحد لا غير، عُرف لاحقًا بـ "قرش شيدمي" (نسبة إلى اسم عائلة هذا الضابط). واعتبرت هذه المحاكمةَ شكلاً من أشكال استهزاء وسخرية القضاء الإسرائيليّ بالمواطنين العرب في إسرائيل وبحياتهم.[52] بل لقد عملت الحكومة بكلّ الوسائل لتخفيف أحكامهم، إذ حتّى العام 1960 كان جميعهم قد غادروا السجن، لا بل جرى تعويض بعضهم بوظائف مهمّة؛ وهو ما يدلّ على سياسة الدولة تجاه مواطنيها العرب وحياتهم. في ما بعد، تَكرّر الأسلوب ذاته في مجزرة أكتوبر 2000.

52. منّاع، عادل (2011) مجزرة كفر قاسم. في نديم، روحانا؛ وأريج، صبّاغ-خوري (محرّران). **المهجّرون الفلسطينيّون في إسرائيل**. حيفا: مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة. ص 76-83.

هبّة القدس والأقصى- أكتوبر 2000

هي الهبّة الشعبية التي خاضها الفلسطينيّون في الداخل، في العام 2000، تضامنًا مع أبناء شعبهم في الأراضي المحتلّة عام 1967، واحتجاجًا على ما حدث هناك من مجازر، إثر الزيارة التي قام بها في أواخر أيلول 2000 أريئيل شارون (زعيم المعارضة آنذاك). فمن قَبيل التحدّي لمفاوضات كامب ديفيد الثانية، قام شارون بزيارة استفزازيّة إلى الحرم القدسيّ الشريف بمرافقة عشرات من أفراد قوّات الأمن الإسرائيليّة. لم يتأخّر ردّ فعل الجماهير الفلسطينيّة على ذلك، إذ خرج المتظاهرون إلى الشوارع احتجاجًا على الزيارة الاستفزازيّة، وقامت قوّات الأمن بإطلاق النيران عليهم، وأرْدَت كثيرين بين قتلى وجرحى، ممّا أدّى إلى اندلاع انتفاضة الأقصى في الضفّة والقِطاع.[53]

أمّا في الداخل الفلسطينيّ، فأعلنت لجنة المتابعة العليا للجماهير العربيّة عن إضراب عامّ في 1/10/2000 تضامنًا مع أبناء شعبهم في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة، وانطلقت المظاهرات الاحتجاجيّة في غالبيّة القرى والمدن العربيّة في إسرائيل؛ أمّا الشرطة الإسرائيليّة فلجأت إلى استعمال الرصاص الحيّ مستعينة بعدد من القنّاصة، فسقط ثلاثة عشر شهيدًا من الشباب العربيّ الفلسطينيّ، وعدد كبير من الجرحى والمصابين، إضافة إلى اعتقال عشرات من الشباب. غالبيّة الإصابات كانت بفعل رصاصات في الرأس، وفي العنق، وفي الصدر والبطن. تراوحت أعمار 12 منهم بين 17 وَ 25 عامًا، وأحدهم كان في الثانية والأربعين.[54]

وبيّنت هذه الهبّة شكل العلاقة بين الدولة ومواطنيها العرب. حيث يُعتبر خروج الجماهير الجماعيّ الذي جرى على نحو عفويّ في كلّ المدن والقرى والأحياء خلال ساعات وفي فعل جماعيّ غير مسبوق تعبيرًا عن غضبهم من الاعتداء على المقدّسات ورمزيّتها الوطنيّة والسياسيّة، وكذلك كازدياد في الوعي الجماعيّ لمعاني الدولة اليهوديّة وسياساتها تجاه وجود وحقوق أبناء الوطن الأصليّين.[55]

قامت عدّة مؤسّسات وأُطُر حقوقيّة وسياسيّة بالمطالبة بإجراء تحقيق فوريّ في أحداث القتل والإصابات. إزاء هذا المطلب والضغوط المحلّيّة والدوليّة، قامت حكومة

53. للتوسّع في الموضوع، يُنظر في إصدارات عدالة المختلفة؛ منها: توجّهات عدالة لماحش وللمستشار القضائيّ للحكومة حول قتل مواطنين عرب في أكتوبر 2000، مجلّة عدالة الإلكترونيّة نشرة خاصّة عدد 17، أيلول 2005. للتوسّع في هذا الشأن، يُنظر: المُتَّهمون - تقرير بشأن تحديد المسؤوليّة الجنائيّة والجماهيريّة عن قتل مواطنين عرب في أكتوبر 2000. إصدار: عدالة، حيفا 2007؛ التحليل الأوّليّ لمركز عدالة لتقرير "ماحش" –عدالة، أيلول 2005؛ تلخيص لتقرير المتّهمون؛ عشر سنوات على أكتوبر -2000 غياب العدالة. تقارير عدالة- المركز القانونيّ. وكذلك يُنظر في: تقارير الرصد السياسيّ الصادرة عن "مدى الكرمل".

54. يزبك، محمود. "المجرم الطليق ما بين أكتوبر 2000 وأكتوبر 2010". هبّة أكتوبر 2000 ومعانيها السياسيّة والاجتماعيّة الحاليّة- مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 8، تشرين الأوّل 2010. حيفا: مدى الكرمل.

55. غانم، أسعد. "انتفاضة القدس والأقصى والتصوّر المستقبليّ وما بعدهما- الضلع الناقص والبعد المغيّب". هبّة أكتوبر 2000 ومعانيها السياسيّة والاجتماعيّة الحالية- مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 8، تشرين الأوّل 2010. حيفا: مدى الكرمل.

إسرائيل بتعيين لجنة "تقصّي حقائق" منزوعة الصلاحيّات. القيادات العربيّة رفضت التعاون مع هذه اللجنة لكونها منزوعة الصلاحيّات، وطالبت باستبدالها بلجنة تحقيق رسميّة. وجرّاء هذا الضغط، قامت الحكومة بتشكيل لجنة تحقيق رسميّة برئاسة تيودور أور قاضي المحكمة العليا أُطلِق عليها اسم "لجنة أور".

وفي أيلول عام 2003، قدّمت لجنة أور تقريرها الذي أوصى بأن تواصل وحدة التحقيق مع الشرطة ("ماحَش") التحقيق في ظروف وملابسات قتل الشبّان الثلاثة عشر وجرح المئات. وبيّنت اللجنة في توصياتها أنّ الشرطة الإسرائيليّة قد خرقت القانون بلجوئها إلى استعمال الرصاص المعدنيّ المغلّف بمطّاط والرصاص الحيّ، لتفريق المظاهرات. وأوصت اللجنة بفتَح ملفّ تحقيق جنائيّ في حالات القتَل.[56]

وفي أيلول عام 2005، صدر تقرير "ماحَش" دون تقديم أيّة لائحة اتّهام ضدّ أيّ من الشرطيِّين، بل جرى تبرير وشَرْعنة استعمال أفراد الشرطة والقنّاصة للأسلحة الحيّة، والمعدنيّة المغلّفة بالمطّاط. أغلقت "ماحَش" جميع الملفّات بدعم من مناحم مزوز (مستشار الحكومة القضائيّ آنذاك). وفي تشرين الأوّل عام 2006، أصدرت "عدالة" تقريرها حاملاً العنوان "المتّهمون" ردًّا على تقرير "ماحَش". أشار التقرير إلى الإهمال المتعمَّد في عمل "ماحَش" في القيام بواجبها بالتحقيق، ولجوئها إلى إخفاء حقائق جوهريّة عن أعين الجمهور. وردًّا على تقرير عدالة، أصدر المستشار القضائيّ للحكومة، في كانون الثاني عام 2008، قراره المثبّت لموقف "ماحَش"، ممّا يبرّئ ساحة مطلقي النار من قنّاصة وشرطيّين.[57]

الطائفيّة

الطائفيّة عبارة عن سلوك متعصّب لجماعة بإظهار الاختلاف بينها وبين الآخرين كأفراد أو كمجموعات. وفي المعتاد، تظهر الطائفيّة في جماعة ذات مفاهيم مشتركة بحثًا عن التميّز والانعزال أو الانطواء على الذات، بلوغًا حدَّ رفض الآخر ونبذه.

"إنّ الطائفيّة لا ترتبط بمشاعر التضامن الطبيعيّ بين البشر المنتمين إلى عقيدة واحدة أو رابطة قرابة طبيعيّة، اي إنّها ليست حتميّة"،[58] أي هي ليست أمرًا نابعًا مباشرة من الاعتقاد والانتماء والقرابة لمجرّد وجودها. فالطائفيّة هي النموذج الأوضح لاستخدام الدين والعصبيّة القرابيّة في السياسة، والنظر إلى الجماعة الدينيّة من حيث هي جماعة مصالح خاصّة، لا من حيث هي أفراد يبحثون عن نشر رسالتهم الدينيّة. وهي "تقود إلى إفساد السياسة التي تختلط بالقرابة وتفقد

56. بولس، سونيا. "مأساة أكتوبر 2000 والبحث عن مسارات عمل جديدة". هبّة أكتوبر 2000 ومعانيها السياسيّة والاجتماعيّة الحاليّة - مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 8، تشرين الأوّل 2020. حيفا: مدى الكرمل.
57. **المُتَّهَمون**، عدالة- مصدر سابق، انظر الملاحظة 47 في هذه الكرّاسة.
58. غليون، برهان (2006). "في نقد مفهوم الطائفيّة". مجلّة الآداب (العدد 11-12-10). ص 82-83.

طابعها المدنيّ الشامل الذي يجعلها إطارًا مفتوحًا على جميع أصحاب العقائد الدينيّة، كما هو الحال في الأحزاب السياسيّة. كما تقود إلى إفساد الدين الذي تحوّل جماعته إلى مجموعة محاربة من أجل مصالح دنيويّة وتضطرّ إلى إعادة تفسير العقيدة نفسها بما يبرّر السيطرة والعدوان والسطو على مصالح الجماعات الأخرى".[59]

"الطائفيّة لا علاقة لها بتعدّد الطوائف أو الديانات"،[60] فقد تكون هذه الطوائف والعشائر والمجموعات مصدرًا للثراء الثقافيّ والتعدديّة والتسامح، ولكنّها تتحوّل إلى مشكلة عندما يتغلّب الانتماء إلى طائفة أو عشيرة على الانتماء إلى الجماعة الوطنيّة أو يمحوه أو يتنازع معه، أو عندما تصبح الإطارَ الوحيد للتضامن بين الأفراد، والمطلوب عندئذ معرفة كيف ولماذا يتقدّم مثل هذا الولاء الخاصّ، في هذه الفترة أو تلك، وفي هذا المجتمع أو ذاك، على الولاء الوطنيّ العامّ.

"وفي حالات الأقلّيّات الدينيّة أو الثقافيّة أو القوميّة، وبخاصّة في أماكن الصراع القوميّ أو السياسيّ أو العسكريّ، كما هي الحال في بلادنا، على سبيل المثال لا الحصر، يُنظر إلى أيّ حديث عن مسألة طائفيّة اجتماعيّة قائمة خارج هذا الصراع، أو بمعزل عنه، على أنّه خدمة للطرف الآخر (إسرائيل؛ الحكومة؛ المخابرات؛ أجهزة الظلام -وتعابير أخرى كثيرة)، أو أنّه يُفضي إلى معارك جانبيّة لا تخدم المعركةَ المركزيّة، أو أنّه اختلاق استعماريّ، والعياذ باللّه، فليس لدينا طائفيّة، وإنّما خلق الاستعمار الطائفيّة".[61] بكلمات أخرى، إنّ "الرأي المهيمن والشائع في مجتمعنا، بين الجمهور وقياداته وأحزابه ومؤسّساته، يقول إنّ المسألة الطائفيّة هي.. الأمر المحظور المحرّم الحديث عنه والتطرّق إليه جهرًا، ويتعيّن علينا التنكّر لمجرّد وجودها والتكتّم عليها. يمكن تفهّم هذا الرأي في حالات معيّنة، مثل تلك الحالات التي تنطوي على احتلال ومحاولة القوّات الغازية اعتماد سياسة "فرّق تَسُدْ"، أو في حالات استناد الأنظمة الاستبداديّة، وإن كانت ديمقراطيّةً في بعض أوجهها، إلى سياسات تقوم على ضرب الأقلّيّات أو الطوائف أو الفئات السكّانيّة فيما بينهم ليتعزّز النظام وتسهيل عمليّة التحكّم بهم والسيطرة عليهم بأقلّ الأثمان الممكن. ولكن ليس من شأن مثل هذا التفهّم أن يستبدل علاج المسبّبات للنزعات الطائفيّة، التي يمكنها أن تهلك مجتمعات بكاملها وأن تهدم بلدانًا وتُقوِّض تقدُّمَ الشعوب، بل إنّ التكتّم والتجاهل هما من المسبّبات لتعزيزها وإذكاء فرص انتشارها".[62]

59. غليون، مصدر سابق ، ص 84؛ في موضوع الطائفيّة، يُنظر كذلك في جملة مقالات ملحق الطائفيّة في موقع مجلّة الآداب؛ يُنظر كذلك بتوسّع عن تعريف الطائفيّة في: نبيه، بشير (إعداد). 2008. **دليل مشروع المناظرة**. إصدار: جمعيّة الثقافة العربيّة وآخرون، ص 84-80. وكذلك: بشارة، عزمي (2000أ). "في المسألة الطائفيّة"، **الخطاب السياسيّ المبتور ودراسات أخرى**. رام اللّه: مواطن، 159-153؛ بشارة، عزمي (2000ب). "الطائفيّة المحلّيّة"، **الخطاب السياسيّ المبتور ودراسات أخرى**. رام اللّه: مواطن، 2000، 159-153؛ الحلبي، مرزوق (2007). "خوض في المؤجَّل: من الطوائف إلى الوثائق!"، http://www.bettna.com؛ داغر، فيوليت (1995). **الطائفيّة وحقوق الإنسان**. القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

60. غليون، برهان. مصدر سابق، ص 6.

61. بشارة، عزمي (2000). "في المسألة الطائفيّة". **الخطاب السياسيّ المبتور ودراسات أخرى**. رام اللّه: مواطن، ص 153.

62. بشير، نبيه. 2008. دليل المناظرة، ص 111.

العنف في المجتمع الفلسطينيّ

يشمل التعريف القانونيّ والمجتمعيّ للعنف جوانب مختلفة. استنادًا إلى منظّمة الصحّة العالميّة، يُعرَّف العنف بأنّه "الاستعمال المتعمّد للقوّة الجسديّة، سواء بالتهديد اللفظيّ أو الاستعمال المادّيّ الحقيقيّ ضدّ شخص آخر أو ضدّ مجموعة أو مجتمع، بحيث يؤدّي إلى حدوث (أو رجحان حدوث) إصابة أو موت أو إصابة نفسيّة أو سوء النماء أو الحرمان". والعنف قد يقوم به فرد أو جماعة تجاه فرد أو جماعة أخرى بهدف إيذائه والتسبّب بالضرر له. ويترك العنف آثارًا جسديّة ونفسيّة قصيرة وبعيدة المدى لدى ضحاياه.[63]

يمسّ العنف بالحقوق الأساسيّة للإنسان، كالحقّ على الجسد، والحقّ في التصرّف الحرّ وفي اتّخاذ القرار، وحتّى الحقّ في الحياة. ولا يمكن فهم وتفسير العنف بشكل أحاديّ جرّاء سبب أو عامل واحد، وإنّما ينبغي فهم التفاعل القائم بين عدّة عوامل.[64] فللعنف جذور تعود إلى المبنى الاقتصاديّ والاجتماعيّ والدينيّ والسياسيّ داخل المجتمع والدولة.

يعاني المجتمع العربيّ الفلسطينيّ، كمجتمع أبويّ، من ظواهر العنف في داخله بكافّة أشكاله. وتعاني النساء والأطفال وكبار السنّ بشكل خاصّ من مظاهر العنف تجاههم كمجموعات مستضعفة. وتدلّ الإحصائيّات التي تجمعها مراكز مختصّة بعلاج الضحايا على انتشار الظاهرة بين طبقات المجتمع وشرائحه المختلفة.

"إنّ انعدام المساواة الجنسويّة في المجتمع في هذا المبنى الأبويّ يخلق عنفًا على نطاق واسع ضدّ النساء، وفي الوقت نفسه يمنع ويعيق تقديم العون المناسب".[65] كما أنّ لدولة إسرائيل وسياساتها تجاه الأقلّيّة الفلسطينيّة الدورَ الأكبر في إتاحة الظروف لنموّ المبنى الأبويّ بواسطة عدم معالجة مشكلة انعدام المساواة بين الجنسين لدى الأقلّيّة الفلسطينيّة بشكل جدّيّ، وكذلك إخفاقها بتوفير علاج ملائم، كافٍ وعادل لضحايا العنف العائليّ، كما يُلزمها القانون المحلّيّ والدوليّ.[66] وقد أدّى تخاذل الشرطة الإسرائيليّة في معالجة حالات كثيرة توجّهت فيها نساء فلسطينيّات لطلب الحماية إلى قتلهنّ من قبل أفراد العائلة.[67]

وفي الآونة الأخيرة، يشهد مجتمعنا حالات عنف جديدة تحْدث بوتيرة متسارعة مثل

63. التقرير العالميّ حول العنف والصحّة (2002). منظّمة الصحّة العالميّة، جنيف 2002. لقراءة التقرير الكامل: http://whqlibdoc.who.int/publications/2002/9241545615_ara.pdf

64. دويري، مروان. "قراءة منظوميّة للعنف في مجتمعنا". العنف في المجتمع الفلسطينيّ: أنواعه، دوافعه وطرق معالجته"، مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 6، حزيران 2010. حيفا: مدى الكرمل.

65. حاجّ يحيى، محمّد. "عن الطابع الأبويّ للمجتمع، انعدام المساواة بين النساء والرجال والعنف ضدّ النساء في العائلة: حالة المجتمع الفلسطينيّ"، مجلّة عدالة الإلكترونيّة، ع 20، تشرين الثاني 2005. حيفا: عدالة. ص 2.

66. حاجّ يحيى، محمّد. مصدر سابق.

67. للتوسّع في هذا الموضوع، في الإمكان مراجعة الكتاب التالي: غانم، هنيدة (2005). **مواقف من قضايا وحقوق المرأة الفلسطينيّة في إسرائيل**. الناصرة: جمعيّة نساء ضدّ العنف.

إطلاق نار وإلقاء قنبلة يدويّة وطعن وحرق، مقابل انخفاض بأنواع أخرى هي عنف السلطة الاجتماعيّة أو التربويّة ضدّ فئات ضعيفة رغم استمرار وجودها.[68] وينتشر العنف بشكل واضح في المؤسّسات التعليميّة والتربويّة والتي تتحوّل إلى ساحات قتال.[69] وتبيّن إحصائيّات ومعلومات تنشرها مراكز رسميّة وغير رسميّة حصول ارتفاع متواصل في معدّل الجريمة: ٪50 من السجناء والمعتقلين الجنائيّين في العام 2009 من العرب،[70] وبلغت نسبتهم ٪40 من السجناء والموقوفين على مخالفات عنف في العائلة، شكّل العرب ٪41 من المشتبه بهم في ملفّات القتل.[71]

النوع الاجتماعيّ /الجُنوسة /الجَنْدر

إنّ الجنس/النوع والجنوسة/الجندر (أو ما يُطلَق عليه كذلك: النوع الاجتماعيّ) هما مصطلحان مختلفان.[72] فالجنس هو معطى بيولوجيّ يتعلّق بالخصائص البيولوجيّة والفسيولوجيّة المولودة لكلّ من الذكر والأنثى وهي صفات ثابتة بشكل عامّ، ومن هنا فلكلّ جنس/نوع صفاته البيولوجيّة، كأنْ تحمل المرأة وتلد (هذا معطى متعلّق بالجنس). أمّا النوع الاجتماعيّ، فهو نظام اجتماعيّ يميّز بين الجنسين، بما يتعدّى الفروق البيولوجيّة، نظام يعتمد على الفروق البيولوجيّة الطبيعيّة بين الذكور والإناث، ويَسند إليها فروقًا اجتماعيّة وأدوارًا اجتماعيّة ووظائف اجتماعيّة مختلفة للنساء والرجال وإلى هُويّة اجتماعيّة مختلفة لكلّ منهما وتوقّعات مختلفة من كلّ منهما. "النوع الاجتماعيّ كهُويّة اجتماعيّة لا يقتصر على هُويّة المرأة بل يعني أيضًا هُويّة الرجل".[73] فهو يحدّد مفاهيم وصفات "الأنوثة" وَ "الرجولة" التي هي مفاهيم اجتماعيّة مكتسبة وليست بيولوجيّة موروثة، وبالتالي يقرّر ما هو التصرّف الشرعيّ وما هو غير الشرعيّ، ويرسم حدود الصحّ/المقبول والخطأ/المرفوض في كلّ المجالات الحياتية، ويُربّي الأطفال منذ نشأتهم على نحوٍ يهيّئهم لتأدية هذه الأدوار.

إنّ النوع الاجتماعيّ هو نتاج علاقات القوّة والسيطرة داخل المجتمع المعيَّن وليس مبنيًّا على حرّيّة الخيار. على الرغم من بعض التشابه في علاقات القوّة والسيطرة في جميع المجتمعات، فإنّ تعريف النوع الاجتماعيّ متغيّر من مجتمع إلى آخر، بل إنّ مفهومه يتغيّر داخل المجتمع نفسه تبعًا للطبقة والشريحة الاجتماعيّة والسلالة أو العرق، ويميّز مجتمعًا ما في مكان ما وزمن ما، ويكون راسخًا في قيمه ومفاهيمه، ويعتمد على العادات والتقاليد والأعراف والقوانين القائمة فيه. وهو يطرح نفسه

68. دويري، مروان. مصدر سابق
69. أبو عصبة، خالد. "**ظاهرة العنف لدى الطلَبة في جهاز التربية والتعليم**". العنف في المجتمع الفلسطينيّ: أنواعه، دوافعه وطرق معالجته، مجلّة جدل الإلكترونيّة، ع 6، حزيران 2010. حيفا: مدى الكرمل.
70. رونين، ينيف. تقرير مركز البحث والمعلومات في الكنيست. 23.2.2010، الملاحظة 9 ص 4 في التقرير. (التقرير صادر بالعبريّة. لمراجعة التقرير الكامل، اضغط/ي- هنا נתונים על הפשיעה בחברה הערבית בישראל).
71. رونين، ينيف. المصدر السابق، ص3، 4.
72. في هذا الصدد، يُنظر: الدلايمي، عبد الصمد (2011). في بناء الهُويّة الجنسيّة، قديتا.
73. غانم، هنيدة (2005). "الدراسات النسويّة ومسألة الفروق بين الجنسين" في مواقف من قضايا وحقوق المرأة الفلسطينيّة في إسرائيل. الناصرة: جمعيّة نساء ضدّ العنف. ص 25.

كأنّه طبيعيّ وجزء من الطبيعة البشريّة، وبالتالي يقوم النساء والرجال بأدوارهم وسلوكيّاتهم المتوقّعة منهم مجتمعيًّا وكأنّها طبيعيّة.

وقد أكّدت هذه الفكرة سيمون دي بوفوار (وهي من أوائل النسويّات اللاتي تحدّثن عن مفهوم الهُويّة الجنسيّة للفرد)، وذلك بمقولتها الشهيرة "الفرد لا يولَد امرأة بل يصبح كذلك".[74] وتعني بهذا أنّ المرأة تولَد أنثى، أي كائنًا مختلفًا عن الذكر، ثمّ تصبح امرأة، أي كائنًا دونيًّا يحتلّ مرتبة اجتماعيّة أدنى من مرتبة الرجل.

يحاول التحليل الجندريّ كشف كلّ تمييز باسْم الفروق البيولوجيّة. وتسعى النسويّة كحركة إلى الغاء التمييز على أساس الجنس، أي إلغاء توزيع الأدوار الجندريّة، وتهدف الحركة إلى تغيير المباني الاجتماعيّة التي تقمع النساء، وبناء مجتمعات خالية من التفرقة الاجتماعيّة بين الإناث والذكور. وهي ترى نفسها مشروعًا تحرّريًّا لكلّ المجتمع، لا مشروعًا في سبيل سيطرة طرف على آخر. فعلى سبيل المثال، تسعى النسويّة للدفاع عن حقّ المرأة في المشاركة على قدم المساواة في العمل وفي الحياة السياسيّة والثقافيّة. وفي الحيّز الخاصّ، تسعى إلى مناهضة جميع أشكال العنف ضدّ المرأة، وتدافع عن حقوقها المتساوية في الحياة الزوجيّة، وحقوقها في الملْكيّة، وحقّها في الاستقلال، وتطالب بمشاركة الرجل في الحياة الأسريّة على نحوٍ متساوٍ.

نظام الفصل العنصريّ/ الأبارتهايد

الفصل العنصريّ "بالإنجليزيّة (Apartheid) هي كلمةٌ تؤدّي معنى الانفصال في اللغة الأفريكانيّة (وهي كلمةٌ مشابهةٌ للشِقّين "apart" وَ "hood" في اللغة الإنجليزيّة). تعبِّرُ الكلمة عن النظام القانونيّ للعزل العنصريّ الذي فرضه الحزب الوطنيّ في جنوب أفريقيا بين العام 1948 وأوائل العام 1994"،[75] وفي جنوب غرب أفريقيا (ناميبيا) في الفترة بين العام 1948 والعام 1990. وكان هناك نظامٌ تمييزيٌّ مشابه ساد في روديسيا (زيمبابوي حاليًّا) في الفترة بين العام 1965 والعام 1979.

بدأت التفرقة العنصريّة في جنوب أفريقيا في عهد الاستعمار، ولكن لم يَجْرِ عرضُ الفصل العنصريّ كسياسةٍ رسميّةٍ إلاّ في أعقاب الانتخابات العامّة التي جرت عام 1948. صنّفَ القانونُ الجديدُ السكّانَ إلى جماعاتٍ عرْقيّة ("أسود" وَ "أبيض" وَ "ملوَّن" وَ "هنديّ")، وعُزلت المناطق السكنيّة عن طريق عمليّات الترحيل القسريّ. حُرِمَ السود من الجنسيّة منذ عام 1958، وأصبحوا ملحَقين بموجب القانون إلى واحدة من عشر مناطق قُسِمَت على أساسٍ قبليٍّ لتُدارَ بالحكم الذاتيّ. سُمّيت هذه المناطق "البانتوستانات"، وأصبحت أربعُ مناطق منها ولاياتٍ مستقلّةً اسميًّا. قامت الحكومة بالفصل العنصريّ في التعليم والرعاية الطبّيّة وغيرها من الخدمات العامّة، وقدّمت للسود خدماتٍ أقلّ من تلك التي تقدّمها للبيض.

74. سيمون دي بوفوار (1953). الجنس الثاني Second Sex. مقتبَس لدى: غانم، هنيدة (2005)- مصدر سابق.
75. الفصل العنصري - عن الويكيبيديا- الموسوعة الحرّة.

ولأنّ الفصل العنصريّ نظام حكم لا يقتصر على سياق جنوب أفريقيا، فإنّ الاتّفاقيّة الدوليّة لقمع جريمة الفصل العنصريّ والمعاقبة عليها (اتّفاقيّة الفصل العنصريّ لعام 1973) تُعرِّف الفصل العنصريّ على أنّه "أفعال لا إنسانيّة مرتكَبة لغرض إقامة وإدامة هيمنة فئةٍ عرْقيّةٍ ما على أيّة فئة عرقيّة أخرى واضطهادها إيّاها بصورة منهجيّة". كذلك يوردُ نظام روما الأساسيّ للمحكمة الجنائيّة الدوليّة تعريفًا مشابهًا للفصل العنصريّ. وينطبق الحظر المفروض على ممارسة الفصل العنصريّ حيثما (1) تنوجد مجموعتان عرقيّتان مختلفتان؛ (2) تُرتكب "أفعال لا إنسانيّة" بحقّ المجموعة الأضعف؛ (3) تُرتكب مثل هذه الأفعال على نحوٍ ممنهجٍ في سياق نظام مُمَأْسَس يتّسم بهيمنة مجموعةٍ عرقيّةٍ على الأخرى.[76]

كثيرًا ما يَستخدم المنتقدون للمعاملة التي يتلقّاها الفلسطينيّون داخل إسرائيل من قبل حكومة إسرائيل المصطلح "الأبارتهايد" (الفصل العنصريّ). تُعتبر ممارسة الفصل العنصريّ، بحسب القانون الدوليّ، خرقًا خطيرًا للتعهّد الدوليّ وجريمةً دوليّةً. خَلُصت محكمة راسل[77] بشأن فلسطين إلى أنّ "إسرائيل تُخضِع الشعب الفلسطينيّ وعلى نحو ممنهَج ومُمَأسَس إلى هيمنتها بما يرقى إلى مستوى الفصل العنصريّ على النحو المتعارَف عليه دوليًا بموجب القانون الدوليّ".

المصالحة مقابل التسوية في النزاعات القوميّة المستمرّة

المصالحة هو مصطلح جديد نسبيًّا شائع في الخطاب السياسيّ، يختلف بجوهره وبأهدافه عن مفهوم تسوية النزاعات ومفهوم حلّ النزاعات. فالتسوية السياسيّة تبحث عن إنهاء رسميّ للصراع على أساس المصالح المتبادلة، وتتشكّل من خلال التوصّل إلى اتّفاق بين أطراف النزاع يعكس علاقات القوّة على الأرض. التسوية لا تعكس بالضرورة على نحو منْصِفٍ احتياجات الطرفين، وغالبًا لا تلبّي مصالح الطرف الأضعف على المدى البعيد. في تسوية الصراع، إنّ الاتّفاق تتوصّل إليه -في المعتاد- النُّخَبُ، وإلى حدّ بعيد لا يهتمّ بالعلاقات بين المجتمعات أو بالاعتراف المتبادل الصريح بين الأطراف. بناء عليه، إنّ السلام بين الأطراف المتنازِعة قد

76. قطّان، فيكتور (2001). محكمة راسل بشأن فلسطين وقضيّة الفصل العنصريّ. موقف في قضيّة- **الشبكة**. نوفمبر 2011. http://al-shabaka.org/ar/policy-brief/politics/%D9%85%D8%AD%D9%83%D9%85%D8%A9-%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%84-%D8%A8%D8%B4%D8%A3%D9%86-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D9%88%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B5%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A

77. ومحكمة راسل هي محكمة شعبيّة. أسّس محكمةَ راسل الأولى في عام 1966 الأرستقراطيُّ والفيلسوفُ البريطانيُّ السير برتراند راسل، بُغية إعلام الرأي العامّ وتعبئته في وجه التدخّل الأمريكيّ في حرب فيتنام. وانعقدت محكمة راسل مرةً ثانيةً بخصوص أمريكا اللاتينيّة، وركّزت على انتهاكات حقوق الإنسان في الأرجنتين والبرازيل وتشيلي. أُسّست محكمة راسل بشأن فلسطين في عام 2009 بُعَيْد الهجوم الذي شنّته إسرائيل على قطاع غزّة في إطار عمليّة الرصاص المصبوب التي راح ضحيّتها أكثر من 1,400 فلسطينيّ.

يكون باردًا أو دافئًا ما دامت هناك تلبية للمصالح، وما دامت الأطراف تتمتّع بتعايش مقبول.[78] أمّا المصالحة فهي عمليّة تختلف في نوعيّتها وتحاول تحقيق نوع من العلاقة بين الأطراف يرتكز على الشرعيّة المتبادلة. منح الشرعيّة كتتويج لعمليّة المصالحة العلنيّة والتي تتمتّع بتأييد اجتماعيّ واسع، هذا المنح يصبح السِّمةَ المميّزة للعلاقة، ويتحوّل إلى حجر الأساس للاعتراف المتبادل والأمن الحقيقيّ. ورغم أنّ التصالح لا يمنع حدوث توتّرات في العلاقة أو نشوب صراعات مستقبليّة بين الأطراف، فإنّه يقي من تدهور العلاقة إلى مرحلة فيها يشكّك مرّة أخرى في شرعيّة كلّ طرف. من هنا، إنّ المصالحة تجلب نهاية حقيقيّة للصراع الوجوديّ بين الأطراف، لأنّ طبيعة العلاقة بين المجتمعات تتحوّل إلى عمليّة تواكبها تغيّرات نفسيّة واجتماعيّة وسياسيّة. وبغية التوصّل إلى مصالحة حقيقيّة، لا بدّ من التعامل مع أربع قضايا أساسيّة، وهي: الحقيقة؛ المسؤوليّة التاريخيّة؛ العدالة؛ إعادة بناء العلاقة الاجتماعيّة والسياسيّة بين الأطراف[79].

78. لتعريف المُصالَحة، يُنظر كذلك: صويلح، المصطفى (2005). "**المصالحة، أيّ مفهوم لأيّة أغراض؟ وبواسطة أيّة آليّات؟**"؛ ومقالات أخرى -على الرابط التالي: http://www.achr.nu/art70.htm.

79. روحانا، نديم. "المصالحة في النزاعات القوميّة المستمرّة: القوّة والهُويّة في الحالة الإسرائيليّة-الفلسطينيّة". **مجلّة الدراسات الفلسطينيّة**، ع 57، شتاء 2004. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 76-62.

الملاحق

مُلحق 1

هكذا توقّفت البحيرة

كانون الأول 1954

ما يحدث في كفرمنده لا يُحتمل.

السفر من الناصرة إلى كفرمنده عسير. المواصلات العامّة غير منتظمة ولا تصل إلى مدخل البلد. يتوجّه يحيى مع رفيق آخر إلى القرية. ركبا الباص اليتيم المتوجّه إلى شفاعمرو. يطلّ الباص على صفورية، التلّة هناك ما زالت على حالها وفي أعلاها مبنى القلعة القديمة. لم يبق في القرية من أهلها أحد. ظلّ فيها بعد الاحتلال الإسرائيلي حوالي ستمائة نسمة. سُجّلوا على أنهم مواطنو صفورية إلّا أن السلطة فاجأتهم ذات يوم بأمر اقتلاعهم من مسقط الرأس. حملت جماعة إلى الناصرة وآخرين إلى الرينة. سمحت للبعض أن «يضمنوا» أراضيهم – أن يفلحوها ويزرعوها لقاء أجر يدفعونه إلى دائرة الأملاك المتروكة.

أللّه أكبر! صاحب الأرض يستأجرها من غاصبها.

الباص يجتاز جسر الخَلَّديَّة. هذا الاسم يثير ذكريات. كان هذا الجسر في أوائل حزيران 1948 ملغومًا ليمنع تحرك القوّات الإسرائيلية المهاجمة آنذاك. لكن قبيل يوم الاحتلال نُزعت الألغام بحجة أن «جيش الإنقاذ» سيتقدم عبر الجسر ليحرر شفاعمرو! لكن ما حدث: أن القوّات الإسرائيلية وصلت عبره إلى صفورية والناصرة.

17

يدور الحديث بين يحيى ورفيقه حول ما حدث في كفرمنده، مما سمعاه من الذين جاؤوا إلى الناصرة من القرية يوم الحادث ليبعثوا ببرقيات الاحتجاج على البطش بأهل البلد.

يتوقف الباص عند مفرق كفرمنده. ينزل يحيى ورفيقه وينزل معهما بعض أهل البلدة. المسافة حوالي سبعة كيلومترات، ولا مجال لانتظار أية سيارة.

تمتمت امرأة وهي ترفع بقجة إلى رأسها: «ألله يهوّنها!».

تساءل يحيى في نفسه: أهذا ما سمّاه علماء البلاغة «تورية» باحتمال معنيين – أن يهوّن اللّه حمل البقجة أو حمل المصائب التي تحلّ بالناس؟

هذا هو سهل البطّوف، قلب الجليل، يلي مرج ابن عامر في الأهمية. حوالي 64 ألف دونم من الأراضي الخصبة، محاط بسلاسل من الجبال. مصدر رزق العديد من القرى العربية، فيه وحوله. لذلك تخطط السلطة المشاريع والقوانين لانتزاعه وتهويده.

في المسيرة الطويلة سمعا كثيرًا من التفاصيل عن هجوم حوالي أربعين شاحنة مليئة بالشرطة المسلّحة على القرية. طوّقوها وشرعوا يطلقون الرصاص بكثافة كأنهم في ساحة معركة. أعلنوا منع التجول وهاجموا البيوت.

– «هاي الهجمة الثانية، بعد الظهر. الصبح كانت أول معركة..».

– «قال بدهم يغرّقوا البلد والسهل، يعملوها بحيرة واحنا يرحّلونا. الموت أهون».

الطريق تمتد والتفاصيل تتراكم. والأفق يزداد عبوسًا وحلكة.

«امشِ يا يحيى، امشِ» – قال الرفيق – «الشعراء أصحابك قالوا: مشيناها خطًى كُتبت علينا.. امشِ.. مين بعرف وين آخر الطريق!».

ليس المشيَ ما يشكوه يحيى. اعتاد عليه منذ طفولته حين كان يمشي يوميًا من قريته إلى المدرسة في الناصرة ذهابًا وإيابًا، صيفًا وشتاءً.. حوالي عشرة كيلومترات. جزء كبير من تنقّلاته يعتمد على المشي. قبل بضعة شهور خرج من الرامة قاصدًا عكا. قال أمشي إلى أن تلحق بي سيارة.. ظلّ يمشي حتى وصل تلّة نابليون – أول عكا. هناك وقفت له سيارة فاعتذر عن الركوب، لم يبق إلا كيلومتر واحد..

أخيرًا، هذه هي كفرمنده. يسألان عن بيت معيّن. يقصدانه، يلتقيان هناك اثنين آخرين. الصورة تتكامل عبر السرد والأسئلة.

سكان القرية حوالي 1800 نسمة، يعتمدون الزراعة. سهل البطوف مصدر الرزق والحياة.

«قبل زمن جاء إلى بيت المختار مسؤولون من دائرة «تخطيط المياه» وعرضوا على رؤوس العائلات خرائط وصورًا لسهل البطوف وقد تحول إلى بحيرة غرقت فيها بلدتنا وبلدات أخرى مجاورة. قالوا: «خذوا تعويضات واخرجوا». من يترك بيته وأرضه؟ وإلى أين نخرج؟ رفضت القرية المشروع».

مشروع كبير يخططون له منذ أكثر من ثلاث سنوات. وضعت خرائط لمراحله المختلفة وبدأوا بالتنفيذ. أخيرًا أقاموا سدًا كبيرًا في القسم الجنوبي من السهل على أراض سُلبت من أهالي صفورية المشرّدين.

كانت القرية تعاني من نزاعات عائلية مؤلمة. سعت السلطات وعملاؤها إلى تغذية النزاع ليخلو لها الجو لتنفيذ خطّتها. كثيرون عرفوا المحاكم والغرامات والسجون.

صباح يوم الإثنين 12/13 جاءت مجموعة من المسّاحين ومعهم مسؤول من الدائرة وسيارة شرطة لمسح الأراضي والبيوت لتنفيذ الخطة. الرياح شرقية عاصفة والجو مكفهرّ.. أحس الناس بالخطر يدخل بيوتهم فاتحدوا في التصدي والدفاع. قاموا برشق سيارة الشرطة والمسّاحين بالحجارة حتى هرب هؤلاء من القرية. لكن السلطة لم تتراجع.

في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر حضرت قوات كبيرة من الشرطة مدجّجة بالسلاح. طوّقت القرية. مزّقت الجو بالرصاص. منع تجول وهجوم على البيوت. الحقد المسلح يُجن في الشوارع والبيوت. لا ينجو من البطش طفل أو امرأة أو شيخ. ليس لأهل البلد ما يدافعون به عن أنفسهم سوى الحجارة. تمتد المعركة أكثر من ثلاث ساعات.. جُرح بعض السكان. القوى غير متكافئة، كفة الميزان تميل. البعض يهربون إلى الوعر، وآخرون – حوالي 120 من مختلف الأعمار يجتمعون في المسجد لكن الهجوم لا يتورّع ويقتحم المسجد ومن فيه ويُعتقل الجميع مع الإمام.

يُقيّد المائة والعشرون بالسلاسل ويُساقون بأعقاب البنادق مشيًا إلى شفاعمرو قدّام الخيل والسياط – حوالي عشرين كيلومترًا. صورة الموكب المهان المعذّب تقطر ألمًا. هكذا كانت تُساق مواكب العبيد الأسرى في عصور الظلام.

19

في القلعة التي بناها الزيادنة على رأس التلة في شفاعمرو في القرن الثامن عشر، في الاسطبل في الطابق الأرضي حُشر المعتقلون - كلّ عشرين في مربط حصان. مساحة مترين.

عادت الشرطة في اليوم التالي إلى القرية تلاحق آخرين، تتعقّبهم تسأل عن مشاركين غيرهم. . أما المعتقلون في «القلعة» فاستأنفت الشرطة والاستخبارات تعذيبهم بسلسلة من التحقيقات الأليمة. اتفقوا أن لا يلينوا أمام أي ضغط لقبول المشروع.

الداخل إلى غرفة التحقيق يُستقبَل بالضرب ويودَّع بالضرب.

دام الاعتقال أربعة أيام. تقرر بعده إحالة الكثيرين على المحاكمة.

قال الراوي:

وجهت السلطات آنذاك ضغطًا ثقيلاً على أعوانها ومن لم يكن مستعدًا للصمود، فقام بعض هؤلاء بالتدخل لدى مختار القرية السجين الحاج محمود عبد الوهاب للتوقيع على تنازل، لكنه ردّهم خائبين.

في بلدية الناصرة قدّمت كتلة الحزب الشيوعي طلبا لعقد جلسة طارئة لبحث العدوان على كفرمنده، فخنع رئيس البلدية للحاكم العسكري ولم يدعُ إلى عقد جلسة. وعندما عُقدت الجلسة الدورية بعد أيام أصرّ عضو البلدية خليل خوري على بحث الموضوع قائلاً: «إن خطر تنفيذ الحكومة لمشروعها الخاص بسلب أراضي البطوف وترحيل أكثر من 15 ألف فلاح عربي يهدد جماهير الأقلية العربية كلها وليس سكان البطوف فقط». لمنع البحث انسحب أعضاء الائتلاف من الجلسة فلم يبق نصاب قانوني.

أما المعتقلون فحوكموا بتهم كثيرة أهمّها الاعتداء على ممثلي القانون! وصدرت أحكام بالسجن مددًا متفاوتة.

ولأن زعيم الحملة على القرية كان اسمه أوري - عُرف هذا اليوم في كفرمنده باسم: يوم أوري.

سجّل يحيى ورفيقه ملاحظاتهم لتُنشَر في الجريدة، واهتموا أن تقوى النواة التي تبادر إلى الدفاع، فالخطر لا يزال يهدّد.

في طريق العودة أحسّ يحيى بالجرح عميقًا في القلب، وأنه يمتزج بكلّ ذرّة تراب. واختمرت مشاعره في القصيدة التي عاد ليكتبها بعنوان «الأرض».

من نَتْسرِتْ إلى نُتْسْراتْ
(من الناصرة إلى النوصرة)

أللّغة العبرية التي عرفها يحيى نبتت في الشارع والصحافة، ولم تكن لقراءة الأدب. عرف كثيرين من الشعراء العبريين لكنه لم يقرأ من إنتاجهم إلّا القليل.

في ظروف القمع الذي سُلّط على الفلسطينيين الباقين على ترابهم والتي تجلّت في الحكم العسكري أراد يحيى ورفاقه أن يجنّدوا معهم في الكفاح ضدّ تلك الآفة أهل الفكر والأدب اليهود، ليعرفوا الحقيقة ولا يدّعي أحد أنه لم يكن يعرف، وليسلكوا بما يمليه الضمير الذي طالما تحدث عن الحرية والإنسانية.

وصل إلى الكثيرين من أهل الفكر. زار الفيلسوف مارتن بوبر في بيته في القدس، والموسيقار باول بن حاييم في تل أبيب، والشاعر شلونسكي الذي تواصلت الصلة به، وكتّابًا آخرين.

حدّثهم عن الناس الذين طُردوا من قراهم وظلّوا هنا لاجئين يرون القرية يسكنها غرباء يبنون بيوتهم على أنقاض ما وجدوا.

حدّثهم عن أنظمة الطوارئ الموروثة عن الانتداب البريطاني وعرض عليهم التصريح الذي يتيح له أن يسافر مقيّدًا بالزمان والمكان وبشروط ما أنزل اللّه بها من سلطان تكدّست

على ظهر التصريح.

تساءل: كيف لمن عانى الاضطهاد والويل أن يسلّط الويل على آخرين؟

حدّثهم عن أناس ظلّوا في قراهم أو مدنهم ثم طُردوا منها ولا مجال لحجّة أنهم كانوا «غائبين» وقت الاحتلال.

كان التجاوب باهتًا جدًا. بعضهم وقّع على عريضة تضامن مؤيدًا وكثيرون وجدوا مبرّرات كان منها أنهم لايريدون صلة بأيّ إطار حزبي يقوم بهذه الحملة. وقال آخرون أنهم يدهشون لما يسمعون ويريدون أن يتحقّقوا ويسألوا ويعرفوا السبب.

لكنه عرف آخرين ممّن أيّدوا الكفاح ضدّ الاضطهاد ودعوا له.

كان هؤلاء من الأدباء والشعراء الذين انتسبوا إلى الحزب الشيوعي أو أيّدوه علنًا.

(1)

طويل القامة. باهر بجماله الرجولي. كأنّما نُحتت ملامحه بإزميل فنّان. يذكّر بتمثال أبولو. في صوته هدوء عميق يحمل صداه في طيّاته.

عرّفوه وهو يصافح يحيى: ألشاعر ألكسندر پن. شهرته ذائعة. سمعه مرّة يلقي قصيدة عنوانها: «كان إنسانًا بسيطًا». إلقاؤه دراميّ أعان على فهم القصيدة.

كان صديقًا للحزب الشيوعي ثم انتسب إليه في مرحلة كان الحزب فيها مهدّدًا بنزع العلنية وأراد أن يدعم كيانه بانتساب شخصيات معروفة. جمعته ويحيى عضوية في اللجنة الثقافية المركزية للحزب.

إنّه ابن اللغة والثقافة الروسيّة تعرّف في موسكو إلى الشاعر الشهير مایاكوڤسكي.

فاجأ يحيى مرّة حين قال له: إنّ مایاكوڤسكي مات منتحرًا.

قرأ الكثير من شعر هذا الشاعر في مصادر سوڤياتية واهتمّ أن يعرف عنه. ليست هناك أية إشارة إلى أنه انتحر!

- هذا الذي مجّد لينين والثورة الاشتراكية وقال في قصيدته عن جواز السفر السوڤياتي، مخاطبًا الموظفين الأمريكيين حين زار الولايات المتحدة ورأوا جوازه الأحمر:

«أنظروا واحسدوني

أنا مواطن اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية»

هذا الرجل انتحر؟!

- مؤسف، ولكن نعم هو. تلك كانت فترة نشب فيها صراع عنيف حول المسيرة الشعرية والثقافية. كان للمسؤولين في الصحافة موقف مناوئ لمایاکوفسکي. حدّثوا أن صحيفة نشرت صورته فأمر المحرر المسؤول أن تُقصّ الصورة من كلّ الأعداد يدويًا! ويبدو أن ظروفًا عاطفية تعيسة أعانت على ذلك كما أحبطه منعه من السفر إلى خارج البلاد.

- لماذا لا يذكرون انتحاره حين يكتبون عن حياته؟

- لأن ذلك يثير كثيرًا من الأسئلة ويطعن في التفاؤل الواثق الذي يغمر شعره.

شارك ألكسندر پن في الكفاح ضد الاضطهاد القومي ومن أجل العدالة الاجتماعية مبدئيًا.

جلس مرّة يترجم إلى العبرية نشيدًا كتبه يحيى. سمع الترجمة الحرفية وطلب أن يسمع الإيقاع. وكانت الترجمة التي حافظ فيها بدقّة على المعنى والوزن.

عشق بنت العنب ولم يبال بداء السكّري الذي اشتدّ تهديده له وكم تمرّد على حرص زوجته الممرّضة راحيل.

(2)

طلب مسؤولون في الحزب من يحيى أن يترجم إلى العربية رواية لكاتب روماني عنوانها «ليالي حزيران»، كانت قد تُرجمت آنذاك إلى العبرية.

قال: لغتي العبرية لا تتيح لي التعامل مع نصوص أدبيّة.

قالوا: هناك من يساعدك.

كان في «الشبيبة» شاعر فتى. شعره يعد بمستقبل باهر، اسمه داڤيد أڤيدان تطوّع للمساعدة. أخذ يجلس مع يحيى في أحد المقاهي يقرأ النصّ العبري ويحيى يترجم فإذا التبس شيء كانت النجدة بالشرح. . إلى أن انتهت الترجمة خلال زمن يسير.

لم تطل إقامة داڤيد في الحزب. عاش حياة إبداع بوهيميّة، وأصبح من أبرز أعلام

الشعر العبري، لكنّه مات ميتة مأساويّة.

(3)

ألرينة / 1955

عند الجيران – دار أبو جلال – ضيف يريد أن يزور بيت يحيى، إنه شاعر عبري معروف اسمه أبوت يشورون. جاء إلى القرية ليعيش جوّها ويلتقي بالجبل والوادي والطبيعة التي ما تزال تحافظ على بكارتها.

لم يقرأ يحيى شيئًا من شعر هذا الشاعر. سمع اسمه.

استقبله بدهشة وودّ، فهو مقيم في القرية منذ أيام. دار الحديث عن الشعر وعن الأحوال تحت حوافر الحكم العسكري.

قال إنه لا يصدّق أن أبناء شعبه الحاكمين يفعلون ما يرى هنا. لم يكن يعلم بما يحدث. ألصورة رهيبة ولا يمكن احتمال الحال.

أراد أن يعرف عن الشعر العربي. حدّثه يحيى عن امرئ القيس والمتنبّي وأبي العلاء المعرّي وآخرين. أُعجب كثيرًا بشخصية المعرّي الذي كان صريحًا في نقد العالم المحيط به وسأل في شعره أسئلة كثيرة لامست جوهر الأشياء والمعتقدات، وتمثّلت إنسانيته في الامتناع عن أكل اللحوم والبيض.. حتى العسل رأى أن النحل تكدّ لصنعه لأبنائها وليس لأبناء البشر..

اتّسع الحديث عن فلسفة أبي العلاء، عن «رسالة الغفران» وكيف دخل ابن القارح الجنّة بالوساطة، ثم أسئلة إبليس عن المتع الممنوعة في الأرض وهي جزاء للمؤمنين في الجنّة.

اهتمّ أبوت يشورون أن يعرف المزيد. سأل عن ملاحم بالعربية. حدّثه يحيى عن «سيرة عنترة» وكيف تختلف عن نهج الملاحم التي عرفتها أوروبا حيث شخصيات الأبطال ملوك أو نبلاء أمّا هنا فالبطل الشاعر عبد يكافح في سبيل حرّيته وعبلة، ويجتاز عقبة تلو الأخرى نحو ذلك.

سأل عن مراجع. قال إنه انفتح أمامه باب واسع.

إلتقاه يحيى فيما بعد مرّة أو مرّتين لقاءً عابرًا.

(4)

صيف 1958

شيء ما يتحرّك في الأفق.

لم تستطع سياسة الاضطهاد القومي أن تخفي عورتها أمدًا طويلاً عن العيون بعد مجزرة كفر قاسم والهجوم الوحشي على مظاهرات أوّل أيار.

إرتفعت أصوات في مختلف الأحزاب الصهيونية تطالب بإلغاء الحكم العسكري وتسرّب هذا الطلب إلى حزب مپاي الحاكم مما اضطرّ بن غوريون إلى التهديد بالاستقالة.

وصدر نداء عن مثقّفين يهود وجّهوه إلى رئيس الدولة تلاه نداء عدد من الأدباء والصحفيين.. لإلغاء الحكم العسكري.

في هذه الظروف كانت مبادرة المحرّر الأدبيّ لصحيفة «هآرتس» الكاتب بنيامين تموز لعقد لقاء تعارف بين أدباء يهود وعرب. إتّصل بيحيى وطلب مشاركة «رابطة الأدباء والمثقّفين»، وقال إنه يودّ أوّلاً أن تُترجم بعض القصائد العربية إلى العبرية وتُنشر في الصحف لتكون مفتاحًا ومنطلقًا للحوار.

كتب يحيى مقالاً نشره في مجلة «الجديد» عن هذا اللقاء قال فيه:

«كانت الغرفة التي عُقد فيها اللقاء عنصرًا مقرّرًا في عدد المشتركين.. فقد كان الكاتب بنيامين تموز يخمن مدى ما يستوعبه استوديو عمله من المدعوين.. وبذلك رسم تحديد الدعوات. ولم ينظر إلى أيّ قيد في تحديد الدعوة إلى الكتّاب العرب، فوجهت إلى عدد من أعضاء «رابطة الأدباءوالمثقفين العرب» وإلى غيرهم ممّن لم ينتسبوا إلى هذه الرابطة.

ولكن المبادرين من الأدباء اليهود رأوا أن تتّسع الدعوة عندهم إلى كلّ الفئات إلّا الشيوعيين اليهود! وفي ذلك انحراف جائر عن جادّة الدمقراطية والمنطق.. فالشعراء الشيوعيون اليهود - من أمثال ألكسندر پن وحايا قدمون - هم رافعو لواء الكفاح المثابر ضد اضطهاد السكان العرب.

ولا بدّ من تمثيلهم في مثل هذا اللقاء.

وكان الاجتماع.. فوصل الكتّاب العرب من الجليل والمثلث وجهد المضيفون

المبادرون في حسن الاستقبال.

ثم أخذ يتوافد الأدباء اليهود، وغصّ الاستديو يتعالى فيه دخان السجاير والغلايين (فالغلايين مصدر وحي لبعض الأدباء!).

وكان التعرف.. والترقّب.

إفتتح الاجتماع الكاتب بنيامين تموز مرحّبًا، ومشيرًا إلى أن هدف الاجتماع هو التعارف الأدبي والثقافي، واعترف بالمصاعب القائمة.. حيث يلتقي شعبان نعرف ما كان بينهما، ونريد أن يلتقيا على صعيد التفاهم والتعاون.

ثم قرأ ترجمة ثلاثة نماذج شعرية عربية: 1) «ألباب» لراشد حسين 2) «قصة كفاح» لعيسى لوباني 3) «ألأرض» لحنا أبوحنا.

وفتح باب النقاش.. لكن الغرفة يسودها صمت ثقيل.. وعيون تتطلّع في سقف الغرفة أو في أرضها.. مستغرقة في المشاعر والتفكير..

يقول ب. تموز في مقال نشره في صحيفة «هآرتس» عن هذا الاجتماع:

«قال لي الشاعر حلفي بعدذلك إنه لم يجد أيّ ردّ على ما سمعت أذناه غير صمت الدهشة».

وتحدّث بعد ذلك الشاعر شلونسكي عن صعوبة النقاش لمجرّد السماع، كما أكّد أن من أصعب الأمور ردّ الفعل على الشعر المترجم فالأمر يتعلّق بالمترجم إلى حدّ كبير، بموهبته وتمكّنه من نقل الشعر بموسيقاه ووحيه وصدقه.

ولكن النقاش لم ينحصر في النطاق الأدبي فوثب من تلك النقطة حالاً إلى آفاق ومجالي طابع العلاقات بين الشعبين ومشاكل هذه العلاقات.

ألم يكن ذلك طبيعيًا؟ إن الكتّاب العرب جاؤوا الى الاجتماع وفي عنقهم أمانة جماهيرهم لاستصراخ الضمير... وفتح العيون على المآسي التي تُكتب كلّ يوم في حياتهم.. ولا يمكن لأدبهم أن يُفهم إذا لم تُفهم الأرض التي نبت فيها هذا الأدب.

وفي اجتماع بين الأدباء للتفاهم والصداقة لا بدّ من إيضاح كلّ ذلك.. فالعثرة هي في جهل الأدباء اليهود لمشاكل شعبنا.. وإن وصلتهم أصداء بعيدة ممّا يدور في قرانا من أعمال الاضطهاد والبطش.. فإنّما هي أصداء مبعثرة كالحة جدًا.. وقدرأينا أن حدثًا واحدًا يسيراً - «طبيعيًا» بالنسبة لنا - أثّرفي القلوب أكثر من خطب وأقوال كثيرة، وذلك

حين استأذن الكاتب مصطفى مرّار الاجتماع للعودة إلى قريته جلجولية قبل أن يبدأ منع التجول هناك . .

فغارت عيون وزاغت عيون عندما اصطدمت بالحقيقة المرّة المجسّدة! فكيف لو عاشوا ما نعيشه كلّ يوم من الويل والاضطهاد؟

قلنا للأدباء اليهود : «يسرّنا أن نرى فيكم وجوهًا غير وجه الحاكم العسكري والشرطة العسكرية . . وجوه كتّاب يسعون إلى تفهّمنا ونسعى إلى تفهّمهم، ويريدون أن يحملوا رسالة التفاهم هذه إلى شعبهم» . .

وروينا لهم بعض أطراف من مشاكل شعبنا . . تحدّثنا إليهم عن اضطهاد الكتّاب الذين يخلصون لشعبهم، سمعوا القصيدة التي فُصل من أجلها عيسى لوباني من التعليم، تحدّثنا إليهم عن مطاردة مهرجاناتنا الشعرية وعن خنق التعليم في مدارسنا وعن مطالب شعبنا القومية واليومية العادلة . .

وقدلخّص ب . تموز ارتسامه من أقوال الكتّاب العرب فقال :

«تحدّث الكتّاب العرب عن مجالات كثيرة تمتّ كلّها بالصلة إلى مظهر واحد فرد : وهو الألم المتعالي الغاضب الذي يحسّ به ابن البلاد الذي سُلب واضطُهد وغُلب، ولا يرى أيّ مخرج سوى في أن تتغيّر سياسة حكومة إسرائيل ويُعترف بحقّ الفلاح العربي في العودة إلى أرضه، وأن تمدّ يد السلام بالتنازل والاعتراف بالخطيئة - إلى الدول العربية المجاورة» .

وتحدّث الكتّاب اليهود - تحدّث أهرون مجد، وحاييم غوري وموشه شمير وغيرهم فأعربوا عن تقديرهم لأهمية الاجتماع - كلّ بأسلوبه، وعن ضرورة إيجاد طريق التفاهم - غير طريق السلاح والحرب، وأشاروا إلى أن ثمّت عددًا كبيرًا من القضايا يجب جلوها وبحثها . ولم يكن يالإمكان الردّ على كلّ ما جاء في أقوالهم في نطاق ذلك الاجتماع . ولكن رئيس تحرير «الجديد» - الأستاذ جبرا نقولا ردّ على بعض الاتجاهات التي لُمست في أقوالهم فقال :

«يجب أن نعلم أن الأساس الأول لمثل هذا الاجتماع هو المساواة التامّة، أمّا نغمة التعالي التي سُمعت في بعض الأقوال فتتناقض كلّيًا مع هذا المبدأ وتعرقله، إن الذين يتحدّثون عن الأدب العربي وتطوّره واتهامه بأنه لم يرتق بعد إلى التيّار الإنساني يجهلون

هذا الأدب كلّياً . . فهم لم يطّلعوا عليه!» . وذكّر الأدباء اليهود بعدم سعي أي واحد منهم لتعلّم اللغة العربية ومعرفتها!

والحقّ أن كلمة موشه شمير كانت تحمل في طيّاتها شيئًا من روح التعالي هذه، والتقريرية الجازمة بأمور لم يتوفّر له الاطّلاع عليها.

□ □ □

لقد ساد الاجتماع جوّ الصراحة التامّة، فلا يمكن للتفاهم أن يشقّ طريقه بين أشواك التزلّف والرياء . . أو التذلّل.

وهذا المبدأ يبشّر بالخير لاستمرار العمل.

ونودّ أن نؤكّد علمنا أن السبيل أمام هذه الاجتماعات ليس سهلاً يسيرًا، إذ يشترك فيها كتّاب من الطرفين يحملون آراء تختلف في ألوانها وتعدّدها أكثر من تعدّد ألوان قوس قزح.

لكن المشجّع هو أن الأدباء اليهود الذين يشتركون في الاجتماع قد وقّعوا على نداء يطالب بإلغاء الأحكام العسكرية، وفي هذا نقطة التقاء هامّة.».

أثناء النقاش دار بين الأدباء اليهود جدال حول تسمية مدينة الناصرة بالعبرية. قال بعضهم: أللّفظ الصحيح هو: نَتْسِرِتْ، وقال آخرون: بل هو «نُتْسْراتْ».

في السيارة العائدة من تل أبيب إلى الناصرة قالوا لطه محمد علي الذي لم يكن يحسن العبرية، لخّص الاجتماع يا طه! قال: «جئنا من نَتْسِرِتْ ونعود إلى نُتْسْراتْ. أو إن شئتم: جئنا من الناصرة ونعود إلى النوصره!».

كانت الغاية من عقد الاجتماع أن يكون فاتحة للقاءات توسّع الصلة بين الطرفين وينتج عنها خير ما في ذلك المجال. لكن الإصرار على استثناء الأدباء اليهود الشيوعيين، كان عاملاً في اتّهام المبادرين أنهم يسلكون منذ البداية سلوكًا سياسيًا حزبيًا، ولذلك انقطع الحبل.

مُلحق 2

"الأدون"

في سوق الناصرة، التقى الشيخ الذي نتحدث عنه تاجر بقر من اصل روماني يدعى بيرنباوم. ولما كان اسمه لا يدور على لسان الشيخ فقد اتفق على تسميته "الادون" أي: السيد، وهو لقب استحدث في عام النكبة حين تحول السيد إلى عبد والعبد إلى ادون!

سأله:

- من اين انت يا ادون؟

فأجاب بيرنباوم بلهجة عربية بداويه وفيها خبث:

- أنا من صفورية.

وسأل من أين انت يا شيخ ؟

فأجاب الشيخ الذي نتحدث عنه بلهجة فيها كثير من الخبث:

- أنا من رومانيا ؟

فضحك الادون، ولم يصدق ان هذا الشيخ من اصل روماني، وسأله ان كان يسخر منه. فرفع الشيخ يده وحاول ان ينزلها قاصمة على رأسه قائلا له:

٣٠

- يا ابن الكلب، هل تريدني ان اصدق انك صفوري؟

وتراجع الشيخ، ومنذ ذلك الوقت قرر الا يسأل احدا منهم عن اسمه وعن بلده.

في يوم الذكرى، يجمع الشيخ اولاده وأحفاده ليأخذهم إلى صفورية، ويمضي معهم نهارا كاملا. يأبى الا ان يصوم في ذلك اليوم، أو يعلن أضرابا عن الطعام، لا يسمع به أحد، ولا يقرأ عنه في صحافة العالم. يذرف الدموع، يلاطف شعر أحد أحفاده الذي يلح عليه دائما أن يحكي لهم عن عن الارض القريبة، أو التي كانت قريبة، عن "الدربيه"، و"غرب البلاطيه"، و"قطعة الجامع"، و"الذيل"، وعن "الشويلي أبو خضر"... ويحكي للطفل الصغير حكاية الادون بيرنباوم ويشير بسبابته الى "الفيلا" التي تطل عليهم ويقول:

- هذا بيتنا وعليه بيت الادون!

ضابط

الى جانبه، جلست طفلة ولما رأت أن جدها يحجم عن الكلام اخذت تقص لنا عن الفرقة التي دخلت القرية في ساعة متأخرة من الليل، وعن جدتها التي بصقت في وجوههم، وكلما سردت حكاية تسأل جدها:

- مش هيك يا جدي ؟

كأنها تعرف كل شي، وسكتت بعد أن أخذ الشيخ الذي نتحدث عنه يسرد لنا حكاية الهجيج.

- طوّقوا البلد، القوا قنبلة على الدار فانهارت على اطفال محمد السليمان. قتلتهم واحد...واحد... لم يبق من هذا البيت أي أثر... اطلقوا النار على شابين فسقطا؛ فهاجت القرية. أردنا أن نقاومهم لكن "احسن سلاح كان في ايدينا مرتينه وأكم خرتوش. دخلوا وهم يطلقون النار على اللي رايح وعلى اللي جاي. أمرونا نخرج من البيوت وتجمعنا في ساحة البلد. جاء ضابط وقال لنا ابقوا في بيوتكم؛ صدقناه. وجاء ضابط آخر وقال: خلال ٤٨ ساعة ما بدي أشوف حدا في البلد. كمان صدقناه!...حملنا شو قدرنا نحمله... وضعنا كل شي في الدست الكبير وحملناه على

اربع سنوات، ولم يجد منفذا اليها الا حين شاهد كلبا جاء من الداخل. فقال: نتبع الكلب؛ فنكتشف المنفذ. وفعل، ودخل من جهة البحر، واحتل القلعة. وتشبث الفارس بالارض، وتزوج، وانجب أربعة أولاد. تزوجوا وأنجبوا. وكانت عين غزال والمزار وجبع والطنطورة وكفر لام والشيخ براق وعين حوض.

أم الزينات

الشارع المنفلت من دالية الكرمل شرقا يقطع مساحة شاسعة من كروم الزيتون.

تنحرف يسارا على مسرب وعر بحثا عن أثر لبيوت من حجر، لكنك تضيع بين أشجار الصنوبر التي غرستها الحكومة بعد أن وصلت جرافات الجيش وقلبت الارض في حزيران من ذلك العام الأسود. واذا عاد أهلها المشردون في مخيم جنين وكل بقاع الأرض، ليشاهدوا ما تبقى من قريتهم، فلن يجدوا سوى أشجار الصنوبر.

قال الشيخ مشقق الوجه الذي نتحدث عنه: "نشفوا المي... كانت حفنة من مية بير الناطف تطوّل العمر عشر سنين... خفى الله راح البير؟ "

هل يأتي يوم ويشرب ثانية من مياه بير الناطف ؟ كم كانت هذه الامنية فاتحة حديث طويل معه، ينتهي بأكثر من حفنة ماء، وبأكثر من بئر، وبأكثر من كرم زيتون، خصوصا وان حكاية هذا البئر ترتبط بالزير ابن المهلهل، أكثر بكثير مما يرتبط به أكراد مستوطنة "عين عيمق" الذين يحرثون الارض ويفلحونها دون خجل أو حياء!

قلب الشيخ مشقق الوجه حبات المسبحة بأنامله التي أصابتها رجفة خفيفة اشتدت كلما احمر وجهه وقطب جبينه كأنه يحاول أن يفجر قذيفة من الغضب، لكنه عدل، وانفرجت أساريره، وواصل حديثه بهدوء وروية.

٣٩

يحكى، على ذمة الراوي، أن الزير بنى على بير الناطف قصرا من رؤوس السباع التي انتشرت في المنطقة. وقيل أنه عندما نزل مرة ليشرب من ماء البئر وجد السبع نائما، فأراد له أن يواصل نومه، فتركه ريثما يستيقظ ويصارعه، وعندها يشهر الزير سيفه ويقطع عنقه. لكن السبع غدره؛ فافترس حماره. فقرر الزير أن ينتقم منه، فأمسك به وربطه وعبأ قربة ماء، ووضعها على ظهر السبع، وركبه هو أيضا حتى أثقل عليه وهو يردد:

"اللي بدو يأكل حمير العرب بدو يزازي تحت القرب".

ودخل أم الزينات مكرما معززا على ظهر السبع، فتعلم أهلها منه درسا في الشجاعة، حتى أنهم نظفوا المنطقة كلها من السباع. ومنذ ذلك الحين، لم يجرؤ أحد على أكل حمير العرب إلى أن جاء من التهمهم لقمة سائغة هم وحميرهم!

مُلحق 3

«مش قتلوا شباب اثنين؟! آه واحد وراه بنت وولد، واحد ما تزوجش لسّـا عزّابي وقتلوهم، هـان الناس تقول: بدنا نرحـل، وناس تقول: والله ما بنرحـل، ناس يقولوا بنرحل، وناس يقولوا: لا بنرحلش، بدنا نظل. عاودوا مشـوا؛ وإللاّ السـيارات جايات، يمّ حمّلوهم غصـبن عنهم، والله الناس يصيحـوا صياح: بدهـاش ترحل، يعني قـال بنموت هان، قال: خليكوا تظلوا زي سـلطان ماضي، زي عبد المجيد ابو محيسـن، أقتلونا ولا نرحل، قال بعض الناس. آه الختيرية، حيـاة عمي جبريل اللـه يرحمه قال: ما بنرحل، شـايفين الحشيش هذا؟ قال: بنمعط حشيش وبنوكل ولا نرحل» (١٦).

مجازر ضد الإنسانية[١٥]

يتبيَّن أثر «مجزرة دير ياسين»، على تهجير الفلسطينيين، بشـكل جليٍّ، في معظم روايات النسـاء المهجَّرات. وبينما تتحدث النسـاء جميعاً عن مجزرة دير ياسين، مما سمعنه عنها، دون أن تكون راوية منهن قد شهدت أحداثها؛ تتحدث الراويات عن مجازر أخرى شهدنها، مثل مجزرة الطنطورة، والصالحة، والفالوجا، ومذبحة عراق المنشية/غزة، وغيرها من المذابح.

مجزرة دير ياسين[١٦]

تتحدَّث الراوية «حمدة محمد جابر أبو نحلة»، – المهجَّرة من بيت نتيف[١٧]/ الخليل، والتي تقيم في عمّان – عن رحلة تهجيرهـا القاسـية، التي بدأت بأخبـار مذبحة قرية دير ياسين، وتلاها سقوط القذائف على رؤوس المهجَّرين:

«طردونا، وين نجري، على منطقة « المشـاين»، منطقة لمين؟ لأبو زياد، على طرف البلد، رحنا لقينا سيارة «تراكّ» هنـاك، وصاروا يهـرّوا[١٨] فينا بالسـيارات. اليهود. آه دير ياسـين، يذبحوا الزلمة بحضن مرتـه (..) أو حضن أمه أو أبـوه (..) إحنا اللي ذبحتنا معركة دير ياسـين، متنا خوف (..) وصغـار كنا، والصغير ما هـو بيخاف أكتر من الكبير (..) نتهـرّب من منطقـة لمنطقة (..) وصـاروا يهرّوا فينا بالتراك؛ بس أطلعوا النسوان، سـرّبوا النسوان، والقصف بالبلد. بالقذايف، بالقذايف (..) يضل مطرحه الواحد (..) والله يمّه بالقذايف (..) تنزل علينا» (١٧).

كما نقرأ رواية مماثلة، بالنسبة لأثر مجزرة دير ياسين، في روايـة «عزيزة محمد أبو هـلال»، – المهجَّرة من قرية بشّـيت[١٩]/غزة، والتـي تقيم في رفح. تتحـدث الراوية عن مأساة تهجيرها بقولها:

«فيـه ناس صارت تشـرد، وناس صارت تقـاوم، ثاني يوم برضه نفس الموال، ثاني يوم نفس الشـي (..)، صلّيتي علـى النبي؟! والله بالطويلة والقصيرة شـردنا، وين؟ على بينا[٢٠]. الحين الزلام[٢١] كلها سـحبت، بعد ما خشوا في البلد وطوَّقونا، سحبت، صاروا يخشّوا[٢٢] اللي يلقوه يذبحوه، والله العظيـم ناس – رحنا ثاني يـوم – ذابحينهم ذبح (تنهَّدت).

يتبيَّن أثر «مجزرة دير ياسين» على تهجير الفلسطينيين بشكل جلي في معظم روايات النساء المهجَّرات

١٥- في سنة ١٩٤٥، طوَّرت الولايات المتحدة وحلفاء آخرون اتفاقية: مقاضاة ومعاقبة مجرمي الحرب الأساسيين في دول المحور، وميثاق المحكمة العسكرية الدولية، ومقرها في نورمبرغ، الذي ضم التعريف الآتي للجرائم ضد الإنسانية في المادة السادسة س: الجرائم ضد الإنسانية هي: القتل، التصفية، الرق، الترحيل، وأفعال لا إنسانية أخرى ارتكبت ضد السكان المدنيين، قبل أو أثناء الحرب؛ أو الاضطهاد القائم على أسس سياسية أو عرقية أو دينية تنفيذاً لأية جريمة، أو لما له صلة بها، تقع في نطاق سلطة المحكمة القضائية، سواء أكانت انتهاكاً لقانون البلد المحلي الذي نفذت فيه أم لا.».

١٦- تقع القرية إلى الغرب من القدس. في التاسع من نيسان عام ١٩٤٨ قامت منظمتا (الإرجون) و (شتيرن) الإرهابيتان، بقيادة مناحم بيغين، بذبح الأطفال والنساء والشيوخ، في مجزرة راح ضحيتها أكثر من ٢٤٥ شخصاً.

١٧- تقع الى الشمال الغربي من مدينة الخليل. قامت المنظمات الصهيونية المسلحة بهدم القرية وتشريد أهلها في ١٩٤٨/١٠/٢١.

١٨- يلقوا بنا.

١٩- تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الرملة، ويحيط بها قرى بينا والمغار وقطرة والمسمية الكبيرة وياصور. قامت المنظمات الصهيونية المسلحة بهدم القرية وتشريد أهلها، في ١٩٤٨/٥/١٣.

٢٠- قرية تقع في جنوب غربي مدينة الرملة.

٢١- الرجال.

٢٢- يدخلوا.

اللي خشّـت اليهود، اليهود خشّوا علينا، كانوا ذابحين دير ياسـين قبلنا، كانوا خاشين ذابحينهم، ونسـمع فيها: لكن إحنا مأمنين، شردنا وين؟ على يبنا، برضه نفس الموال، زي ما صار فينا بعد شـهر صار في يبنا. وهالحروب وهالدنيا والناس اللي معه صغير يجري، واللي معه كبير يجري، والله فيه ناس شـردت، وخلّت صغارها في الصالون، من كثر ما عملوا فينا إسرائيل؛ شـردنا. طيب صبّحت الناس مرمية في الكروم زي ما ترمي هالخشـب (أشـارت بيدها) هادا وين؟ في الكروم» (١٨).

مجزرة الطنطورة[٢٣]

تروي «آمنة المصري»، تفاصيل مجزرة الطنطورة، فتؤكّد علـى النية المبيَّتة للمذبحة، حيث هجم أفراد الجيش ليلاً، وفصلوا النسـاء عن الرجال، وقتلوا كل من حمل سـلاحاً، ورموا الجثث في حفر جماعية، وأجهزوا على الجرحى:

«إجونا المسـا بالليل (..)، هالزلام[٢٤] فتشوهم كُلياتهم[٢٥]، أخذوا كل اللي معاهم (..) مفاتيحهم دخانهم، جزادينهم[٢٦]، حطوهم هيك هالعلو (أشـارت بيدها على ارتفاع الأشـياء المصـادرة) (..) كل اللـي معاهـم يعني (..) حطـوه (..) والنسـوان، قالوا: صاروا، يلاّ النسـوان ع جنب والرجال ع جنب، آه والله، أنـا كان معاي مصطفى (ابنها) الله يرضى عليـه، الصغير وهـاي زهية (ابنتهـا) ومصطفى وإم أيمن (ابنتهـا الثانية) فيه[٢٧] وحدة بالمخيم، ع حضني كانت ترضع (..). شو بدي أقلّك؟! (..) مشينا، هالعالم وين بدها تروح؟! وين؟! صارت هالناس، حطوا النسوان لحال والرجال لحال، وهَلّي بدهم إياه، زي هاض، شـاخوراي[٢٨] هاض عن السود هضـول[٢٩]، كان شـاخوراي هضـول السـود عندهم، عند

٢٣- يؤكد البحث الذي أجراه «ثيودور كاتس» لأطروحته للماجستير، والمرتكز على شهادات من لاجئين من القرية، وعلى وثائق مودعة في أرشيف الجيش الإسرائيلي، أن مجزرة مريعة وقعت تلك الليلة ضد رجال القرية، وقد أُحصيت في ليلة الإحتلال والليلة التي تلتها أكثر من مائتي جثه.

٢٤- الرجال.

٢٥- كلهم.

٢٦- حقائبهم.

٢٧- هناك.

٢٨- عبد أسود عند اليهود.

٢٩- هؤلاء.

مجزرة الطنطورة: وثائق مودعة في أرشيف الجيش الإسرائيلي أن مجزرة مريعة وقعت تلك الليلة ضد رجال القرية وأُحصيت أكثر من مائتي جثة

اليهـود، هاض هيك ينقّوه[٣٠] يـلا يطخوا، يا حرام هاي عنا وحدة إلها ثلاث ولاد. شـاخوراي أسـود، عبد يعني (..). (تدخلت ابنتها في الحديث): هضـول اللي كانوا يقاوموا. كانـوا يجيبوهم، ينقّوهم، يحطوهم ويللاّ يطخوهم، صارت هيـ (..) أخذوا بيجي عشرة، إتناعشر واحد وعربايات عنا، عربايات زي اللي عند الإنكليز بتشوفيهم هضول اللي كانوا كبـار (..) (ابنتهـا): عربات خيل. إيه عنـا هيك ببلادنا، صاروا، يشدفوهم[٣١] بالعرباي وعل مقبرة، ع التربة، وهناك يزتّوهم[٣٢]. عم يزتوهم ينقلوا من البلد شايفة! (صوت ابنتها لكن غيـر واضح). فيه عيلة (..) فيه عيلة (..) اجوا عليها النـاس، يعني صارت تتجمع علـى بعضها لما صار الضرب والقتل هاض الطخ والدنيا، خافـوا الناس يا بنيتي[٣٣] أجوا على عيلة ما بعرف تلات، أربع طعش[٣٤]، يمكن خمس طعش[٣٥] من عيلة وحدة والله، كلهم أجوا (..)

– بتذكري شو اسم العيلة؟

– إيّه، بيت قاسم[٣٦]. صفوهم عل هالحيط، بره[٣٧] بالشارع

٣٠- يختاروه.

٣١- يضعوهم.

٣٢- يرموهم.

٣٣- يا ابنتي.

٣٤- أربعة عشر.

٣٥- خمسة عشر.

٣٦- عائلة قتلها اليهود في مجزرة الطنطورة.

٣٧- بالخارج.

يعني، وأعطوهم صاروا يلاّ طا، طا، طا[38]. فيه وحدة ختيارة[39] زيّ هيـك كاينة، قالت لهم: إي يا حبيبيني[40] (قالتها بصوت ممطـوط) قتلوكوا[41] إيه. جاي هاض فيه واحد ضابط، أجا عليهـم هاللي مش جاي على قلبه ولـلاّ على هاض، يعني طيب فيه روح شـايفة، أجا عليهم بهالفرد[42] بروسهم، طاخ طاخ طاخ طاخ، كلهم؛ كمّل عليهم. مين شـاف هالشـوفة؟ واحد منهم طلعوه، قبل ما رشـوهم قالوا: تعال اتفرج انتِ شـو بدو يصير[43]. حطوه يا سـتي (..) شـاف هالشوف يا حرام، أخواته، ولاد عمه، ولاد ابن عمه، كلياتهم، شو بدك، حملوا هالناس ودبوها[44] وين؟ للتربة» (١٩).

الراوية «رسمية حمد يحيى حمد»

التهجيـر، الصمـود ومحـاولات العـودة:

النكبة كما عاشتها نساء فلسـطين

بقلم: جنـان عبـده- مخـّول

مع مرور ما يقارب الستين عاما على أحداث النكبة، ما زالت قصص تلك الأيام وما جرى خلالها تراود ذاكرة من عاشوها ثم حملوها معهم كأنها تحدث اليوم معهم. الانفعال ذاته، التوتر والترقب، القلق والخوف من الحاضر كما المستقبل. ينعكس هذا الخوف في التعامل مع الحاضر على أنه يحدث بالأمس، ومع الأمس على أنه حاضر اليوم. بعض النساء اللاتي قابلتهن ضمن بحث أجريه حول هذا الموضوع، ما عدا الناشطات السياسيات منهن، تخوفن من تسجيل المحادثة أو من استعمال تفاصيلهن الشخصية، وذلك مقابل رغبة شديدة لديهن في الحديث والمشاركة بما جرى.* فقد عبّرن عن إنفعالهن من المقابلة، كون بعض التفاصيل تذكر للمرة الأولى ضمن سياق بحثي، يتعامل مع تجاربهن وذاكرتهن الحية بمحمل الجد والتقدير. بعضهن أبدين تخوفا من أن المعلومات التي سيتم نشرها لربما تضر بشكل أو بآخر أحد أفراد العائلة– بهذه الحالة كان المقصود أبناء تلك النساء– الذين إما يعملون أو يتعلمون في معاهد أو مؤسسات ضمن حدود دولة إسرائيل.

إن التعابير المتواضعة وغير المعقدة التي إستعملتها النساء عكست خوفاً من المؤسسة الحاكمة، وخوفاً من أن تقوم أجهزتها الأمنية بشكل أو بآخر بوضع العراقيل أمام الأبناء بسبب تصريحات الأمهات، بمعنى أن تعاقبهم أو تضيق عليهم الخناق. هذه النساء، كما يبدو، تعيش حالة من الخوف تنعكس في تصرف الترقب والتحسب من المستقبل ومن الحاضر أيضا. يبدو من أحاديثهن أن هذه الوضعية ما زالت مستمرة منذ النكبة وبسبب ممارسات الأجهزة الحاكمة القمعية تجاه أبناء هذا الشعب.

حالة الرعب هذه لها ما يفسرها، بمعنى أننا لا نتحدث هنا عن حالة خوف غير طبيعي أو غير منطقي الذي ليس له ما يبرره، أي بما يشبه "البرانويا أو الفوبيا الجماعية" بل هي واقع معاش بحد ذاته. واقع عاشه الفلسطينيون أيام النكبة ومجازر دير ياسين التي تحولت رمزا للمجازر كلها وكانت سببا في نشر الرعب بين السكان كما يبدو وكما تؤكد الأحاديث والتقارير التاريخية المختلفة.

تلك المجازر والقصص التي حُفرت (بضم الحاء) عميقاً في الذاكرة الحية لأصحابها، يحملونها معهم أينما ذهبوا حيث تحولت بذلك لجزء حي فيهم وفي حاضرهم ومستقبلهم وليس فقط صور من ماضيهم. هذا الماضي الحاضر دوما في كل التفاصيل التي يرونها هو ماض معاش حتى اليوم. لم يكن هناك انقطاع عن أحداث وويلات النكبة، فقد عاشوا تبعياتها في فترة الحكم العسكري أيضا، والذي فرض على الفلسطينيين ممن بقوا على أراضيهم. يستذكرون منها أيام "الإعاشة بالنقط" وأيام الاعتقال وحظر التنظيم السياسي ورفض التشغيل أو فصل من تم إستيعابه خاصة في سلك التعليم، وذلك بناء على "قوائم سوداء" شملت أسماء للناشطين والناشطات من الصف الوطني، ممن بقوا على أراضيهم أو هجروا منها في الداخل، ممن ضيق عليهم الخناق او جوبهوا بالعنف المؤسس والمشرعن وفق قوانين وأنظمة طوارىء، من قبل الدولة وأجهزتها الحاكمة والمنفذة.

لقد استشعر الفلسطينيون الخطر القادم مع انتهاء الحكم الانتدابي بالشكل الذي انتهى فيه دون إحراز الاستقلال المرجو، وعبروا عن قلقهم من فقدان الأرض–الوطن، وتحدثوا عن ذلك في حينه في مؤتمراتهم ومظاهراتهم وبياناتهم ورسائلهم للمندوب السامي ومحافل دولية وعربية. كما تحدثوا عن ذلك في الجلسات العائلية وبين الأقارب والجيران في البلدة الواحدة. أمور ما زالت المراجع التاريخية تؤكدها كما تؤكدها الذاكرة الحية في عقول ونفوس الأشخاص الذين عاشوا الأحداث وواكبوها وعانوا ويلاتها. منهم من فقد بعض أبناء عائلته أو كلهم، ومنهم من فقد بيته، ومنهم من فقد أرضه، ومنهم من فقد كل شيء وهجر قسراً أو ترك خوفا على من تبقى من المعاناة والتعذيب والإذلال، كل ذلك على أمل الرجوع بعد أن تهدأ العاصفة في غضون أيام.

رغم استشعار الخطر ومقاومته، إلا أن أحداً كما يبدو لم يكن يتوقع حجم النكبة وهولاتها كما تؤكد لنا ذاكرة النساء. تقول (ن. ع.) من حيفا عن ذلك: " ما كنا متوقعين هذا الشيء، كانت صدمة طبعا ما اتصورناش كنا نسمع بالأخبار إنه هياهن الفلسطينية عم بغلبوا، طلعوا اليهود، عم بغلبوا فكانت مفاجأة. كانت الناس تنام وتسكر الباب، بعدين ما عادوا يقدروا يستحملوا. بالأول بقيوا، بعدين كانوا يطلعوا بالسفن ع بيروت. أهلي راحوا ع عمان بالأول وبعدين ع بيروت".

إن استشعار الخطر والخوف من القادم من جهة، ومقاومة هذا الخطر والعمل على صده من الجهة المقابلة وكردة فعل له، هي حالة ميزت الفلسطينيين منذ بداية القرن الماضي، خاصة مع إقرار وعد بلفور الذي أعطى شرعية لإقامة وطن قومي لليهود على ارض فلسطين، منذ أن تعامل مع اليهود على أنهم شعب، بينما توجه للفلسطينيين على أنهم أقليات في أرض فلسطين!.

التهجيـر والمقاومـة

تميز العمل النسائي المنظم للجمعيات النسائية العربية والاتحاد النسائي خلال الانتداب، ومن ثم من قبل نساء حركة النهضة في أحداث عام ١٩٤٨، بمقاومة حملات التهجير وتفريغ البيوت من أصحابها، وفي العمل على رفع وعي الناس لأهمية الصمود والبقاء، إضافة لمد يد العون ودعم أولئك اللذين لجأوا أو هجروا قسراً. هذه المقاومة استمرت فيما بعد أثناء فترة الحكم العسكري حيث تعرضت المتظاهرات وناشطات الحركة الى الفصل من العمل ممن عملن في سلك التعليم وأيضا تعرضن للمضايقات وتلقين أوامر المنع وحظر التجول، منها من استمر سريان مفعوله حتى مع إبطال الحكم العسكري في العام ١٩٦٦، وتعدته بسنوات. كما وتعرضن للاعتقال خاصة أثناء المظاهرات التي نظمتها النساء أو تلك اللاتي شاركن بها حيث لجأت الشرطة الى تفريق بعضها بالقوة.

تصف أقوال السيدة سميرة خوري – ناشطة سياسية ومن مؤسسي مؤسسات حركة النهضة– بشاعة التهجير وقسوته، ويستدل بالمقابل من مضمون الحديث على شجاعة النساء وجرأتهن في مقاومة تلك العمليات. شمل الأمر أيضا مقاومة

مُلحق 5

أثر النكبة على المرأة الفلسطينية

أجاب أكثر من نصف عدد الرواة (معظمهم من النساء: ثلاثة وستون راوية وثلاثة رواة)، على سؤال يتعلق بيوم الهجرة، وكيفية مواجهة أيام حرب العام ١٩٤٨م. أجاب ٧٦٪ منهم (ثمان وأربعون راوية، وراويان) أن تأثير الحرب كان مدمراً عليهم، وأجاب ٢٤٪ منهم (خمس عشرة راوية وراو واحد) أن تأثير الحرب كان صعباً عليهم. أما بالنسبة ليوم الهجرة، فقد وصف ٩٠٪ من الرواة (اثنتان وستون راوية وراويان) هذا اليوم بأنه كان صعباً للغاية، ووصفه ١٠٪ من الرواة (ست راويات وراو واحد) بأنه كان صعباً.

يوم الهجرة

ولا شك أن سؤال الهجرة، كان أقسى الأسئلة للرواة؛ ما جعل بعضهم يحاول تجنب الإجابة عن السؤال، وجعل بعضهم الآخر يسترسل في الحديث، بأسى وحزن لا حد لهما. تتحدث الراوية **وفية الخيري** عن قسوة هذا اليوم:

«لما هاجرنا. هاجرنا مشي شايفه؟! كانت السيارات الإسرائيلية من الرملة تعبي هالناس، وتزتهم[1] بالقباب، قريه القباب[2]. ومن لقباب لسلبيت[3] مشي، سلبيت كنا نمشي مشي. وياما ماتوا ناس في الطريق[4]! هذه الشويه، هي جبال، طبعاً جبال، وكانت من سلبيت تيجي التركات الأردنية، تحمل المهاجرين، وتحطهم في رام الله. هذه سنة ال ٤٨ هذا وقت حرب بعديها بعدها طحونا[5]. كانوا يجوا ينقلونا ويزتونا بالقباب، من القباب لسلبيت مشي. ومن سلبيت بالتركات الأردنية تجيب وترمي هون»[186].

١ ترميهم

٢ تقصد قرية القبيبة، من قرى قضاء الرملة المهدمة. تقع في اتجاه الجنوب من الرملة، على بعد ١٢كم منها. اقيمت على أراضيها مستوطنة (موشاف جديرة) العام ١٩٤٩م.

٣ من قرى قضاء الرملة المهدمة. تقع إلى الجنوب الشرقي من الرملة، وتبعد عنها ١٠كم، اقيمت على أراضيها مستوطنة (كيبوتس شعالفيت) العام ١٩٥١م.

٤ مات ناس كثيرون في الطريق

٥ طردونا

وتصف الراوية **سعدة دكار** هذا اليوم، مصحوباً بذكرياتها عن شجاعة النساء، وعن معاناة قاسية:

«والله طول عمرهن النسوان شاطرات، والله طول عمرهن مقدمات، وطول عمرهن يعني عندهن شجاعة أكثر من الرجل الهامل، مهو الصحيح[1]. في ال ٤٨ هاجرنا على بربرا[2] على دار مين! اتجوزت انا عاد، على دار جوزي بعد ما انقتل عبد القادر الحسيني بثلاث تيام، خلص هلقيت[3] الناس قطعت الامل، صاروا في الخيرية الزلام[4] يلموا بعضهم ويقعدوا يتعصبوا ويروحوا على القدر ويسخنوا قدادهم، منهم كان واحد اسمه: أبو سليمان محمد العثمان وأحمد الرشيد، الثلاثة هذول لموا بعضهم وقعدوا يلطموا، ايامها بن محمد العثماني انقتل طخوه اليهود من كوبانية سلمة، كانوا كابوتسات عند السبق، سبق فيه للخيل كان ألف دونم، وهاذا يتسابقوا فيه الانجليز، راحوا طخوه من هناك، وبعدها احنا بيجي بعشر تيام قلي محمد: يا مسعدة ملناش قعاد[5] هان بدنا نروح على بربرا، روحنا، تروحنا؛ صرنا عند بيت دجن[6]، صارت اليهود طخ علينا، هاذا في ال ٤٨ المهم الله سلمنا، نفذنا في الليل على حمار، والله سلمنا، وصلنا بربرا تقريبا العصر. اجوا أهل زلمتي[7] أخذونا وقعدنا عندهم، صارت الطيارات تضرب علينا، طلعنا وين؟ في الحواكير بقولوا لهن الحواكير الغربيات هذولا رمل، اجا أبو كنتي[8]، عطاف فادي بحشلنا جورة[9] وقال: انزلوا هان، ثالث يوم رابع يوم ذبحوا دير ياسين شردنا.»[187].

وتتحدث بعض الراويات عن مأساة الهجرة، مصحوبة بتحليل أسبابها، وتحديد مسؤولية الحكام العرب، ممتزجة بالحديث عن مقاومة الثوار الباسلة للجيش الإسرائيلي المعتدي. نقرأ ذلك الوعي وتلك القدرة التحليلية، لدى الراوية **زكية حليلة:**

---

١ هذا هو الصحيح

٢ من قرى قضاء غزة المهدمة العام ١٩٤٨م. تقع إلى الشمال الشرقي من غزة، أقيمت على أراضيها المسلوبة مستوطنة (موشاف مقيعيم).

٣ الآن

٤ الرجال

٥ لن نستطيع البقاء هنا

٦ من قرى قضاء يافا المهدمة العام ١٩٤٨م. تقع إلى الجنوب الشرقي من يافا، أقيمت على أراضيها المسلوبة بلدة (بيت داجون).

٧ زوجي

٨ والد زوجة ابني

٩ حفر حفرة

«لما طلعنا من يازور[١] اجوا[٢] قالوا: يا الله إيه (..) مهم ضحكوا علينا خانونا[٣]، خانوا عبد الله، مهو باقي يروح معاهم ليش خانا؟! فيه مستعمره بقيت بين سلمه[٤] وبين سلمه وها كتفا بين سلمه وهاكتفا اسمها: مستعمرة كبيرة قد[٥] يازور، راحوا عليها الثوار اللي عندنا في الليل، هجموا عليها وحرقوها، اللي قتلوا قتلوا، واللي راح راح، واللي شرد[٦] جابوا[٧] اولاد الصغار اللي دشرت[٨] ابنها وجابوهم في الترك[٩]، اجا جيش الإنقاذ أخذهم من يازور، أخذهم وقعدنا نزغرد، ويم من وقت الهجانا وهذه المستعمرة، قام باعنا عبد الله، واجا شو يقول؟! بعث جماعه وقال: يا الله رحلوا الولاد الصغار، الاطفال بس؛ وخلوا الشباب، هان بدّه جيش يقابل جيش؛ بس رفعوهم «خرجوهم من البلد» إشي طفش[١٠] على اللد، وإشي على الرملة، وإشي على ارتاح، والله بقى - موت قلبي- اخوي ابو علي ابو سمير، انه يروح على القيادة اللي في اللد، يجيب السلاح لما يخلص والاّ، بقى في الليل يروح هو وثلاث اربع يجيبوا».

وحين استفسرت الباحثة حول موقف الراوية؛ تحدثت عن إصرارها على البقاء مع والدها، ورفضت الهجرة:

«أنا قلت لها: (تقصد لأمها) مش رايح[١١] انا وابوي، مهو مع المناضلين بقى ينام عندهم قلت لها: انا وابوي بدي اظل هينه[١٢]. ظليتني لما ما ظل مصرخ، إلاّ هو القائد ابو العبد، واحد قائد تركي بقى مصطفى الترك، وواحد ابو عبد العيش، كنه[١٣] من الرملة ما بعرف!

١ قرية من قرى مدينة يافا. تقع إلى الشرق الغربي منها.

٢ جاءوا

٣ خدعونا

٤ من قرى قضاء يافا المدمرة. تقع إلى الشرق من يافا.

٥ نفس الحجم

٦ ضاع

٧ احضروا

٨ تركت

٩ شاحنةكبيرة

١٠ هرب

١١ ذاهب

١٢ هنا

١٣ يكون

قال: هذه يا ابو حسن، لأبوي، هذه البنت تظل هينه[1]؟ انت ابوها وفي الليل بتروح انت وياها تنام في البلد، البلد خربت[2] خليها تلحق امها بنا انودّيها[3] على امها، قلت: انا مش رايح على امي، انا بدي أروح على اخوي على يافا – مهو اخوي بقى في يافا مع اللجنه القومية –، واخذنا ودينا[4] مرته، مرة اخوي ام علي بقت معها علياء وعلي، عليا عمرها: ٤٠ يوم، وعلي هساع بقى ينقل، اخذها من الخوف، لما انقتل الهجانا بتخاف يا ويلي! صارت بترجّ، بقت صغيرة ١٦ سنة أخذناها. قعدنا سبع تشهر[5]، بعد السبع تشهر ما وفيناش[6] السبع تشهر؛ الاّ هو جاي ابو علي ماشفناه[7] الا هو جاي بها التكسي، طول النهار امي قاعدة على الاسفلت، واللي بيجوا تقول له: كيف يافا؟ يقول: يافا خربت، ماشفتوش أبو علي؟ ماشفناهوش[8]، مع اللجنة القومية، وهي لا توكل ولا تشرب، ما شفناه[9] الا هو جاي هيك بقول (وبدأت الحجة تتمايل) وعمته معاي جايب هالتكسي وجايب معاه تموجان وباروده واستن، املي سلاح بتاعه وجاي، لاقاه حافظ الحمد الله بالعبط على الاسفلت، قال: إيش صار؟ وصار وصار ويافا خربت، اللي راح في البحر ركب البحر، ركب في البحر في يافا وراحوا، واللي ركبوا في السيارات واش[10] في الطيارات»[188].

وتتحدث الراوية **وداد الأيوبي** عن يوم الهجرة، مقترناً بمذبحة دير ياسين؛ التي دفعت الكثيرين إلى الهجرة. تحدثت عن هذا اليوم الذي شكل بداية مأساة اللاجئين، والذي لن تنساه الراوية ما عاشت:

«يوم الهجرة، أو ما نسميه يوم النكبة، النكبة الأولى، أذكر أنني كنت مديرة في بنات المالحة[11]، وفي نيسان، وفي منتصف نيسان أعتقد كانت مذبحة دير ياسين. وفقنا[12] يوم

---

١ هون

٢ خرابة

٣ نرسلها

٤ أرسلنا

٥ اشهر

٦ لم نكمل

٧ شاهدناه

٨ لم نره

٩ لم نره

١٠ بعضهم

١١ من قرى قضاء القدس المدمرة. تقع إلى الجنوب الغربي من القدس. أقيم على أراضيها مستوطنة (موشاف مناحات).

١٢ أفقنا

أنا والمعلمات اللي عندي، كنت أسكن هناك، وشعرنا إنه جميع شوارع المالحة، كانت ملأى بالبكاء والعويل والضجيج والصراخ، وشو الخبر؟! قالوا: اليهود هجموا على دير ياسين، وذبحوا أهلها، واعتدوا على بناتها، واللي قدر يفلت منهم هيوا[١] فلت، وأجوا من دير ياسين للمالحة طبعاً مشياً على الأقدام. فأنا جيت[٢] من المالحة رأساً على باب الزهرة مهاجرين، ولو انه من القدس للقدس، إنما من بيتنا عند دار عمي. هذه يعني أول شيء بذكره، وبقينا هناك لفترة محدودة. بعد (١٥) أيار لما بلشوا[٣] طبعاً الإنجليز انسحبوا، واليهود اجوا، أخذوا الحصون والقلاع اللي تركوا لهم إياها ومنها نوتردام، مقابل الباب الجديد، أحد بوابات الحرم، هذي بناية عالية جداً احتلوها اليهود، وصاروا يضربوا منها على القدس الشرقية، هذه العمارة كانت تكشف كل الأحياء القدس الشرقية، وحتى البلد القديمة، فكانوا يضربوهم من بعيد، كل يوم فيه شهداء، كل يوم فيه جرحى، كل يوم فيه قتلى، خصوصاً باب الزاهرة وباب العامود، كثير كانوا قراب، هلأ[٤] فيه كثير عائلات ومن ضمنهم إحنا كمان، أبونا خاف علينا، ونزلنا على أريحا، فنزلنا أنا وأمي وأختي وإخواني، لسه كانوا كلياتهم صغار، ورحنا على أريحا، وبأريحا الحقيقية انزلنا في بيت سيدي هناك؛ لكن ايشي اللي عمري ما بنساه[٥] لا أنا ولا إخوتي ولا أختي ولا أحد؛ منظر أهالي اللد والرملة[٦] اللي كانوا هربوا من اللد والرملة، اثر هجوم اليهود عليهم، على رام الله، ومن رام الله على أريحا، يعني كانت مناظر الحقيقة لا تنسى بتاتاً، بالتركات[٧] بال يعني على الحمير، إشي بالسيارات بالباصات وحطوا فين؟ تحت الشجر في أريحا، مين ما يصل يلاقوه يدخل على البيارات، مين ما كان ويحطوه تحت الشجر، وقعدوا فترة كانت مأساة لا توصف بتاتاً! عمري ما بانساها! وقعدوا فترة. يعني كانت مأساة لا توصف بتاتاً! عمري ما بانساها! تركوا بيتهم بالليل، اللي تقول: نسيت ابني، وهذه واقعة يعني عملية، يعني مش عملية خرافية، أو عملية تنحكى كثير من الأهل، من اللد والرملة كانوا نسيوا أولادهم. واحدة تقول: حملت المخدة بدل ابني، وتركت ابني وتصرخ، ويعني كان شي الحقيقة شغلات مزعجة جداً، ومؤسفة بذات الوقت. هلأ بعد فترة، بعد ما قاسوا

١ ها هو

٢ جئت

٣ بداوا

٤ الآن

٥ لا أنساه

٦ الرملة مدينة فلسطينية تقع غرب القدس، واللد مدينة مجاورة لها

٧ شاحنات

الأمرين، فيه منهم هؤلاء استمروا على الأردن، فيه منهم كملوا وراحوا هربوا على الأردن مع بعض الناس، الأهالي اللي كانوا برضه في أريحا، يعني أريحا أصبحت قريبة على الأردن، وكل ما يقولوا القيامة قايمة في اللد والرملة ويافا والقدس وإلى آخره؛ صارت الناس تهرب، ففضيت[1] أريحا. تقريباً يعني كانت مليانه[2]، كل الناس هاربين، فبدا العدد يقل. شو القصة؟ الناس راحت على الأردن، ومن هناك بدت مأساة (١٩٤٨)، ومن هناك بدت مأساة اللاجئين اللي هربوا على الأردن، طبعاً أما أهل الشمال: يافا وهذول راحوا على لبنان، وقتها من (٤٨)، بتذكر كمان انه من ضمنهم أهلي اللي كانوا بيافا راحوا على لبنان، هلأ الشيء اللي كمان أذكره تمام: أجا الصليب الأحمر في هذيك الفترة، ما كنش فيه وكالة ولا إشي، كان فيه الصليب الأحمر وبس. فتحوا هناك المكاتب، وبلشوا يساعدوا ها اللي قاعدين تحت الشجر، ومفش أكل وإشي، بلشوا يساعدوهم، وشوي شوي زي ما قلت لكم: اللي قدر يهرب هرب، واللي قدر يستأجر أو يقعد في بيت صغير قعد، وهذي كانت بداية مأساة اللاجئين اللي أنا اذكرها طبعاً، اللي هي كانت زي ما تقولي قريبة عليّ»[189].

ويتحدث واحد من الرواة الثلاثة، الذين وافقوا أن يتحدثوا عن هذا اليوم المرير، هو الراوي: **أحمد محمود الزبن**. ويتبين من خلال روايته، بالإضافة إلى المعاناة الشديدة لهذا اليوم؛ أثر ما ترامى إلى مسامعه ومسامع الكثير من الفلسطينيين، من أخبار عن مذبحة دير ياسين؛ على قرار الهجرة:

«بلدنا جاي[3] بقلب معسكرات، بقلب مستعمرات يهودية، لما طلعنا؛ اللي حرقونا اللي حرقوا هم اللي عملوا مجزرة دير ياسين، والحرمة[4] فضحوها قدام جوزها، والبنت شقّوا بطنها قدام أبوها، فأنا حملت اولادي واولاد اخوي واولاد أختي وطلعنا بالقطار. الملك عبد الله حطّ لنا معسكر جنب البلد، قام أجوا المدفعية، كانت فوق الطيرة، أي بيت بدها تقصفه (..) تقصفه وإحنا بالجملة: كنت أنا ومرتي[5] واولادي ببيت غرفه مربعة ٤×٥ م قاعدين إحنا صار القصف، قالوا: فيه بيت عقد في بيت الشايب، أخذت الأولاد، روّحت لبيت الشايب اجت[6] قذيفة بالغرفة اللي كنا فيها (..) فتحت البيت مترين بمتر ونصف؛

١ فرغت

٢ ممتلئة

٣ أي تقع

٤ المرأة

٥ زوجتي

٦ وقعت

والغرفة لو كان فيها مائة زلمة ما بيظل ولا حدا، كل كتل الحجار نزلت، أنا طلعت وأخذت عيالي على الأردن، نزلنا من الأردن أنا وست سبع شباب على الطيرة[١]، صرنا عند عارة وعرعرة، والله، قسماً بالله عند بلد اسمها أم الشوف[٢] شفت الناس والأواعي أكثر (..) مجازر رهيبة على الطريق»[190].

مدى الكرمل
المركز العربيّ للدراسات
الاجتماعيّة التطبيقيّة - حيفا

www.mada-research.org

تصدر هذه الكرّاسة بدعم من مؤسّسة التعاون